



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية



مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها الموسومة بـ

الملكة اللغوية عند علماء العرب والغرب

تخصص: لسانيات تطبيقية

تحت إشراف الأستاذة:

د. زيدي الخداوية

من إعداد الطالبين:

1-قديري منصور أمين

2-مقراني مخطار

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ.د. يطو عائشة	أ- محاضرة أ	رئيسا
أ.د. زيدي الخداوية	أ- محاضرة أ	مشرفا ومقرا
أ.د. بوكرباعة تواتية	أ- محاضرة أ	مناقشا

السنة الدراسية

2023/2022

د. زيدي الخداوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ ثُمَّ عَلَّمَهُ
الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
الْمَاءَ فَجَاءَ بِهِ
بِطَرَبَاتٍ مُتَنَادٍ
فَجَاءَ بِهِ زُرُقًا
فَجَاءَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا
فَجَاءَ بِهِ عَجْمًا وَمِنْ
أَنْزَالِهِ الْفُلْكَانَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
الْمَاءَ فَجَاءَ بِهِ
بِطَرَبَاتٍ مُتَنَادٍ
فَجَاءَ بِهِ زُرُقًا
فَجَاءَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا
فَجَاءَ بِهِ عَجْمًا وَمِنْ
أَنْزَالِهِ الْفُلْكَانَ

الإهداء:

وُجد الإنسان على وجه البسيطة، ولم يعيش بمعزل عن باقي البشر
وفي جميع مراحل الحياة، يُوجد أناس يستحقُّون منَّا الشُّكر
وأولى الناس بالشُّكر هما الأبوان؛ لما لهما من الفضل ما يبلغ عنان السماء؛
فوجودهما سبب للنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وعائلي، كل من:

بشير ومباركة

بن عامر

هوارى

مصطفى

وزوجة أخي.

إلى أصدقائي الذين أشهد لهم بأنهم نعم الرُّفقاء في جميع الأمور..
أهديكم بحثي المتواضع.

قديري منصور أمين

الإهداء:

إلى من وضع المولى - سبحانه وتعالى - الجنة تحت قدميها، ووقَّرها في كتابه
العزيز أُمي الحبيبة عائشة.

إلى خالد الذكر، والذي لم يتهاون يوم في توفير سبيل الخير والسعادة لي
أبي المؤقَّردور.

إلى من أعتمد عليهم في كل كبيرة وصغيرة

إخوتي:

محمد، كوثر وعبد النور ويونس.

إلى أصدقائي ومعارفي الذين أجَّلهم وأحترمهم

إلى أساتذتي في كلية الآداب.

أهدي لكم بحثي هذا.

مقراني مخطار

المقدمة:

مما لا شك فيه أن علاقة الإنسان بلغته ذات طبيعة خاصة جدا إذ كانت الموضوع الذي حير عقول العلماء والباحثين عبر العصور فاللغة من أول الملكات التي يكتسبها الإنسان من محيطه، فكما وصفها الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر بأنها الوجود في عبارته الشهيرة "إن اللغة منزل الوجود" فلطالما اعتبرت اللغة أسمى طرق التواصل، ففي تعريف اللغة يقول العلامة ابن جنّي في كتابه "الخصائص": "أما حدّها (يعني اللغة) فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". فالإنسان لا يكتفي بنفسه في بقائه بل لا بد أن يجتمع مع أبناء جنسه في تحصيل أسباب المعاش وبضرورة هذا التعايش لا بد له أن يفهم غرضه وأن يفهم عن الآخرين أغراضهم. وبهذا نعلم أن المقصد من اللغة هو التبيين والفهم.

فالتبيين إما أن يكون بالحوار والتكلم وإما أن يكون بالكتابة والثاني أبلغ أثرا إذ يوصل غرضك ومرادك إلى من هو غائب عنك. والفهم كذلك، إما أن تفهم ما يبيّنه الآخر لك بواسطة الحوار وهذا يكون بالاستماع وإما أن تفهم المكتوب وهذا بالقراءة، إذًا فالمقصود الأساسي من تعلّم اللغة هو تحصيل هذه المهارات الأربع: وهي الحوار والكتابة والاستماع والقراءة وهي كلها ملكات. لكنّ مشكل اكتساب هذه الملكات هو ما لاقى الاهتمام الكبير من طرف العلماء وبالأخصّ ابن خلدون وتشو مسكي، وفي هذه الدراسة سنتطرّق لهذا الموضوع ونتفقد جوانبه من مسببات ونتائج وعوامل مؤثرة في الاكتساب.

وعليه نطرح جملة من التساؤلات الآتية:

- ما هي اللغة وما مفهومها؟ وكيف تطرّق لها مختلف العلماء من العرب والغرب؟

• ماذا نقصد بمصطلح المَلَكَة عموماً؟ والملكة اللغوية خصوصاً؟ وكيف أدلى كل من العلماء اللغويين من أمثال تشومسكي وابن خلدون بدلهم في شرح مفهومها ودلالاتها؟

• كيف للملكة اللغوية أن تتحقق لدى مالكةها؟ وهل هي فطرية أم مكتسبة؟ هل هي طبع ينطبع أم صفة تكتسب؟

• إن كانت مكتسبة فكيف يتم ذلك؟ وما هي العوامل المؤثرة فيها؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة قسمنا المادة البحثية إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول كان عنوانه: اللغة خاصة إنسانية، والذي قسم بدوره إلى أربعة مباحث حيث تناول المبحث الأول: مفهوم اللغة، والمبحث الثاني جاء بعنوان: مفهوم اللغة العربية، وأمّا المبحث الثالث فتناولنا فيه نظريات نشأة اللغة العربية، وفي المبحث الرابع والأخير فكان تحت عنوان: مراحل اكتساب اللغة وطرائق تحصيلها.

- الفصل الثاني جاء بعنوان: الملكة اللغوية عند علماء العرب والغرب حيث قسم إلى أربعة مباحث جاء المبحث الأول بعنوان: مفهوم الملكة، وأمّا المبحث الثاني فكان بعنوان: الملكة اللغوية عند علماء العرب القدامى، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان: الملكة اللغوية عند علماء العرب المحدثين، وأمّا المبحث الرابع فجاء بعنوان: الملكة اللغوية عند علماء الغرب.

- الفصل الثالث والأخير والذي جاء بعنوان: الملكة اللسانية وكيفية تحصيلها حيث أدرجنا فيه أربعة مباحث المبحث الأول جاء بعنوان: اكتساب الملكة اللسانية، وفي المبحث الثاني تناولنا فيه طرق اكتساب الملكة اللسانية، أمّا المبحث الثالث فكان بعنوان: مصادر تحصيل الملكة اللغوية وفي المبحث الرابع فطرنا فيه العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية.

أما الخاتمة فجاءت حوصلة لأهمّ النتائج المتوصّل إليها.

اعتمدنا في هذا البحث على أبحاث ابن خلدون وتشومسكي والفارابي وغيرهم من الذين شغلتهم الملكة اللغوية دراسة وبحثاً.

ومن دواعي وأسباب اختيارنا لهذا البحث هو حبنا للتعرف على التراث العربي ومحاولة معرفة جهود العلماء في هذا المجال دون أن ننسى التطرق إلى الملكة اللغوية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد جمع بين ما هو تاريخي وما هو وصفي تحليلي إذ يتناسب وهذا النوع من الدراسات.

ومن أهمّ الصعوبات التي واجهتنا في هذا العمل قلة المراجع والمصادر وصعوبة الوصول للمتوفر منها، كما أنّ بعض المراجع مطروحة بلغة أخرى ممّا تطلب ترجمة بعض من محتواها لذكره لكنّ بفضل الله ثم بفضل عباده ممن سخرهم لنا ليكونوا في عوننا تمّ هذا العمل.

في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "زيدي الخداوية" على صبرها و إرشاداتها وحرصها على إنجاز هذا العمل و إخراجها في أحسن صورة، كما لا يفوتنا التقدم بمعاني الشكر والامتنان إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على ما بدلوه من جهد في قراءة هذا العمل، وأيضا لا ننسى بعض الأساتذة الذين قدموا لنا يد المساعدة نخص بالذكر الأستاذ " درقاوي حمزة" " بالثانوية فرناكة " وأيضا الأستاذ "حمادي" "جامعة معسكر" وإلى كل من ساهم من بعيد أو قريب و لو بمتقال حبة رمل في هذا العمل ونسأل الله أن يجعل لنا به أجراً سارياً.

الفصل الأول: اللغة خاصة إنسانية

المبحث الأول: مفهوم اللغة (لغة واصطلاحاً).

المبحث الثاني : مفهوم اللغة العربية.

المبحث الثالث: نظريات نشأة اللغة العربية.

المبحث الرابع : مراحل اكتساب اللغة وطرائق تحصيلها.

المبحث الأول: مفهوم اللغة (لغة واصطلاحاً)

أ- لغة: من لغا في القول لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا. ويقال: لغا فلان لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا. ويقال: ألغى القانون. ويقال: ألغى من العدد كذا: أسقطه. والإلغاء في النحو: إبطال عمل العامل لفظاً ومحلاً في أفعال القلوب مثل ظن وأخواتها التي تتعدى إلى مفعولين. واللغا: ما لا يعتد به. يقال: تكلم باللغا ولغات ويقال سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم. واللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يصل منه على فائدة ولا نفع والكلام بيد من اللسان ولإيراد معناه¹.

وجاء في لسان العرب لابن منظور في باب لغا، أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها: لغوة ككرة، وثبة، كلها لاماتها وواوات، وقيل أصلها لغى أو لغو والهاء عوض لام الفعل، وجمعها لغى مثل برة أو برى والجمع لغات أو لغون¹

وقال أيضا الكفوي: اللّغة أصلها لغى ، أو لغو جمعها لغى ولغات ، وذكرها الفيروز آبادي في مادة لغو بالواو ، وجمعها على لغات ولغون².

ب- اصطلاحاً: اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تحديد تعريف محدد للغة، ويرجع سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم. ونذكر أهم التعريفات كما ذكرها العلماء القدامى:

¹- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات. المعجم

الوسيط، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، 1972، مادة لغا، ص: 138.

¹ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب لغا، ط3، 1414، ج1، ص: 252.

²الكفوي، أبو البقاء بن موسى الحسني، الكليات، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة

الرسالة، لبنان، 1998، ص: 697.

أ-ابن جني: أبرز تلك التعريفات وأوضحها هو ما ذكره ابن جني قائلاً: أما حدها (اللغة) فإنها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضهم¹. ويؤكد هذا التعريف عدة من الحقائق المتصلة باللغة حسب رأينا وهي:

- اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية.
- اللغة لها وظيفة اجتماعية، لكونها أداة للاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع جميعاً، ووسيلة لتعبيرهم عن أغراضهم وحاجاتهم.
- اختلاف اللغة باختلاف المجتمعات.

ب- ابن تيمية: وقد عرف ابن تيمية اللغة أنّها : أداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به ، وهي وعاء للمضامين المنقولة ، سواء أكان مصدرها الوحي ، أم الحس ، أم العقل ، وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم². ونستفيد من تعريف ابن تيمية للغة السمات التالية:

- أن اللغة وظيفة اتصالية وتعبيرية.
- أن لها علاقة بالعقل والتصور والمشاعر.
- أنها للغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصها.

¹ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط1421، 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج1، ص:34.

²عبد السلام، أحمد شيخ، اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، ط2، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة 2006، ص: 80.

ج- ابن سنان: يعرفها ابن سنان الخفاجي اللغة بقوله : هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام¹.

د- ابن خلدون: تحدث ابن خلدون في مقدمته فعرفها بقوله: اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها².

وقد تضمن هذا التعريف عدة حقائق هي:

- أن اللغة وسيلة اتصالية إنسانية اجتماعية، يمتلكها متكلم اللغة، ويعبر بواسطتها عن آرائه واحتياجاته ومتطلباته.
- أن اللغة تختلف من مجتمع إلى آخر، طبقا لما اصطلح عليه أفراد ذلك المجتمع.
- أن اللغة نشاط إنساني عقلي إرادي يتحقق في حدود عادة كلامية لسانية.
- أن اللغة تصبح ملكة لسانية بتكرار استعمالها.

ه- عبد القاهر الجرجاني: ويعرف الجرجاني اللغة بأنها: عبارة عن نظام من العلاقات والروابط المعنوية التي تستفاد من المفردات والألفاظ اللغوية بعد أن يسند بعضها إلى بعض، ويعلق بعضها ببعض ، في تركيب لغوي قائم على أساس الإسناد³.

¹ الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، القاهرة، 1953، ج1، ص:33.
² ابن خلدون، عبد الرحمن ، المقدمة ، ط4، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج1، ص:83.
³ عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، الرباط، دار الأمان، 1998، ص:23.

و- **محمد ظافر:** فقد حاول الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل ظافر أن

يعرف اللغة بعدة تعريفات أهمّها:

أنّها مجموعة منظمة من العادات الصوتية التي يتفاعل بواسطتها أفراد المجتمع الإنساني، ويستخدمونها في أمور حياتهم. أنّها طريقة إنسانية خالصة للاتصال الذي يتم بواسطته طائفة من الرموز التي لا تنتج طواعية ولا يستطيع المتكلم أن يغير تتابع الكلمات إذا أراد الإفهام¹

ز- **أنيس فريحة:** وقد عرف الدكتور أنيس فريحة رحمه الله تعالى

اللغة بأنّها: "ظاهرة سيكولوجية، واجتماعية، وثقافية، ومكتسبة، لا صفة بيولوجية، ملازمة للفرد. وتتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، واكتسبت عن طريق اختيار معاني مقررة من الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم، وتتفاعل"².

ح- **محمد علي الخولي:** ومن جانبه فقد عرف الدكتور محمد علي

الخولي اللغة بأنّها: نظام اعتباطي لرموز صوتية تستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء جماعة لغوية متجانسة.³

ط- **الدكتور عماد حاتم:** ويعرفها عماد حاتم بأنّها: وسيلة لتفاهم

بين البشر يكتسبها الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه، فهي لا تولد بولادة الإنسان، ولا ترتبط بخصائصه البيولوجية، أو العرقية، بل هي ظاهرة تخضع

¹ محمد اسماعيل ظافر، ويوسف الحمادي، التدريس في اللغة العربية، الرياض، دار المريخ للنشر، م1984، ص:19-25.

² فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1918م، ص:41.

³ الخولي، محمد علي، أساليب تدريس اللغة، ط3، الرياض، م1998، ص:15-16.

للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني، وهي تنعدم وتتلاشى بانعدام ذلك المجتمع¹.

وعرف العلامة القنوجي رحمه الله تعالى اللغة بأنها: علم باحث عن مدلولات في جواهر المفردات وهيئاته الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعمّا حصل من تركيب كل جوهر ، وهيئاته من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية².

أما علماء النفس فكان لهم تعريف خاص للغة ألا وهو: رأوا أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص³.

مما يلاحظ على ما سبق عدم اتفاق العلماء المحدثين كما كان هو الحال عند القدامى على تعريف محدد للغة، ويعود ذلك إلى ارتباط علم اللغة بعلوم عدة، أهمها: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، والبيولوجيا، فقد كان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه، فنظر فريق من الباحثين إلى اللغة من الزاوية الفلسفية المنطقية، ونظر إليها فريق آخر، من الناحية العقلية النفسية، كما عالجها

¹ محمد اسماعيل ظافر، ويوسف الحمادي، التدريس في اللغة العربية، الرياض، دار المريخ للنشر، م1984، ص:19-25.

² القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، أجد العلوم، الناشر دار ابن حزم، ط1، 1423هـ- م2002، باب اللام، ص294.

³ عبد المجيد، عبد العزيز، اللغة العربية-أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، مصر، 1998م، ص51.

فريق ثالث من زاوية وظيفتها في المجتمع ولكل فريق آراؤه الخاصة في تعريفها 1 وفي ضوء ما سبق من تعريفات اللغة عند العلماء المحدثين يمكن أن نستخلص مايلي:

- أن اللغة هي الأداة التي يستخدمها الفرد للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار.

- أن اللغة والفكر لدى العلماء عملية واحدة حيث لا يمكننا إيصال أي من عواطفنا ومشاعرنا وأفكارنا ما لم نستخدم اللغة.

- أن اللغة عبارة عن نظام معين يجب إتباعه.

¹ يعقوب، اميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ط1، ص 31.

المبحث الثاني: مفهوم اللغة العربية

اللغة العربية هي إحدى اللغات القديمة التي عرفت باسم مجموعة اللغات السامية، وذلك نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، الذي استقر هو وذريته في غرب آسيا وجنوبها في شبه الجزيرة العربية. ومن هذه اللغات السامية: الكنعانية، النبطية، البابلية، الحبشية. واستطاعت اللغة العربية أن تبقى، في حين لم يبق من تلك اللغات إلا بعض الآثار المنحوتة على الصخور هنا وهناك¹. حيث تحوي العربية من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير، وغير ذلك من ظواهر لغوية، يؤكد لنا الدارسون أنها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن².

واللغة العربية أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم، يتحدثها أكثر من أربعمائة واثنين وعشرين مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي ونيجيريا ماليزيا و أندونيسيا وغيرها من الدول الإسلامية³.

إذن فالعربية هي اللغة السامية الوحيدة التي قدر لها أن تحافظ على وجودها وأن تصبح عالمية، وما كان ليتحقق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها؛ إذ لا يمكن فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح والدقيق وتذوق إعجازه اللغوي

¹ غنيم، كارم السيد، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة، (د.ط.)، ص 10.

² أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية. ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص 33

³ عمّار، أحمد، جمل، محمد، العربية الفصحى بين برنامج اللغة العربية ووسائل الاتصال الجماهيري، ندوة العربية الفصحى ووسائل الاتصال الجماهيري، ص 110.

والبياني إلا بقراءته باللغة العربية. كما أن التراث الغني من العلوم الإسلامية وأمهات الكتب مكتوبة باللغة العربية. ومن هنا كان تعلم العربية هدفا لكل المسلمين .

واللغة العربية تعد من أطول اللغات عمرا، وتعد أقرب اللغات إلى اللغة الأم. فهي اللغة الوحيدة التي حافظت على بنيتها وكتب لها البقاء دون تحريف قبل الإسلام، زادها الله كرامة وعزة واختارها لغة لكتابه العزيز، وحفظت بحفظه. ثم عني بها أهلها فليست هنالك لغة نالت من الرعاية والاهتمام والبحث مثلما نالت العربية، وليست هنالك لغة تملك التراث الذي تملكه اللغة العربية¹

واللغة العربية لغة إنسانية حية، لها نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والتركيبى، كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها. وقد رأى العلماء أن كل خروج عن هذا النظام اللغوي المتكامل يعد لحناء، سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أم باستعمال اللفظة في غير موضعها، أم في مخالفة أي عنصر أساسي من عناصر كيانها اللغوي التي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية²

وتعتبر اللغة العربية واحدة من اللغات العريقة في العالم الآن، يرجع تاريخها إلى ما لا يقل عن ألف وخمس مئة سنة، بالشكل الذي نقلته إلينا المعاجم التي يرجع تاريخ تدوينها إلى نهايات القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث الهجري، ولاسيما بعد ظهور صناعة الورق في البلدان العربية³.

¹ عكاشة محمود، علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية، القاهرة، دار النشر للجامعات،

2006، ط1، ص26-27

² معروف نايف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، 1418هـ-1998، ط5، ص25.

³ موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، يوم السبت، 6 يوليو، الساعة 49:6 صباحا -www.ar.wikipedia.org

وفي الأخير نستنتج بأن مفهوم اللغة منهج ونظام للتفكير، والتعبير والاتصال، وقد اهتم الفكر اللغوي الحديث، بالكشف عن ماهية البنية اللغوية العميقة، وتفسير عمل الآليات الدقيقة لمنظومة اللغة، التي تميزت بها اللغة العربية بأنها واحدة من اللغات الإنسانية المعاصرة، التي يتحدث بها الملايين من العرب، والمسلمين، وهي إحدى لغات منظمة الأمم المتحدة¹.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: هذا اللسان كلام أهل الجنة، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلى من كل خسيصة، والمهذب مما يستهجن أو يستشنع، فبنى مباني باينَ بها جميع اللغات من إعراب أوجدها الله له، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين أو متضادين، ولم يلاق بين حرفين لا يتألفان، ولا يعذب النطق بهما، أو يشنع ذلك منهما فيجرس النغمة، وحس السمع، كالغين مع الحاء، والقاف مع الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق، مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخوات لهما، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها والياء الساكنة مع الضمة قبلها، في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى².

1- قماوي، عبد البديع، اللغة العربية للجميع، ايسسكو، ص1-3
2السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، النوع الثاني والعشرون، معرفة خصائص اللغة مطبعة السعادة، مصر، 1323، ط1، ص198.

المبحث الثالث: نظريات نشأة اللغة العربية

إنّ العلماء والمفكرين لم يختلفوا في شيء من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة، اختلف العلماء الغربيون في أصل اللغات ونقطة البداية فيها، فمن قائل إنها هبة من الله إلى الأرض، أي أنها ذات أصل إلهي ، ومن القائل إنها من صنع الإنسان واختراعه، وقد استند الفريق الأول إلى ما جاء في الكتاب المقدس، وقد أخذ بهذا الرأي الفيلسوف الفرنسي "روسو" *Jean-Jacques Rousseau* ، حيث اعترف في رسالته التي ظهرت سنة 1750م بالأصل الإلهي حيث ، يقول: (لقد تكلم آدم وتكلم جيدا ، والذي علّمه الكلام هو الله نفسه).

ومن القائلين بهذه النظرية العالم "هيردر" *Johann Gottfried Herder* (تلميذ الفيلسوف الألماني كانط) الذي استدل على بطلان نظرية الأصل الإلهي بما يوجد في اللغة الإنسانية من عيوب، وبعد وصولها إلى الحد الكمال، لقد اختلف العلماء اختلافا واضحا في مسألة نشأة اللغة، وقدم كل فريق حججا لدعم نظريته ودحض النظريات المعارضة¹.

كما تنوعت آراؤهم واختلفت مذاهبهم ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كان جل آرائهم يصطبغ بالصبغة الشخصية، ولم يتجاوز مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس، وفي ذلك يقول "ماريوباي" *Mario Andrew Pei*: (فيما يختص نشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد).

¹المرجع السابق، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص18.

ولا بأس أن نلّم هنا إماما سريعا ببعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية، وعدة نظريات لتفسير ظاهرة نشوء اللغة منها:

أ- نظرية التوقيف:

يرى أن اللغة غريزة وإلهام وموهبة فطرية أو توقيف من الله تعالى: علم آدم الكلام واللغة، أو الإلهام هبط على الإنسان الأول فعلمه النطق، وأسماء الأشياء، أو غريزة انفعال بها الإنسان فتكلم، وهذه النظرية قديمة نادى بها الفيلسوف اليوناني (هيرا كليت *Héraclite*) (576 ق.م.) وقد قال بهذه النظرية أيضا ابن فارس اللغوي في الصحابي وابن حزم الظاهري في الإحكام.¹ ويستند أصحاب هذا المذهب إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة، فاليهود والنصارى يستدلون بما ورد في التوراة من قولها: (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، وهو اسمها فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء، وجميع حيوانات البرية)².

وكان ابن عباس يقول: (وعلم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار، وأشبهها ذلك من الأمم غيرها)³.

¹توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1980، ص25.
²رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1997، ص110
³رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1997، ص110

ب- نظرية المحاكاة:

هي نظرية ترى أن الإنسان أنشأ بداية اللغة عن طريق تقليده للأصوات التي كان يسمعها حوله في الطبيعة، أصوات الرياح والحيوانات والمياه والأشياء وتسمى هذه الكلمات عند علماء الغرب:¹ *Onomatopoeia*.

هذه النظرية معروفة أيضا باسم نظرية "البو-واو" (Bow-Wow) عند ماكس ميلر (Max Miller) وهو من كبار علماء اللغة في القرن التاسع عشر.

وقد عرض لهذه النظرية من علماء المسلمين ابن جني، فقال: (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وسحيج الحمار، ونغيق الغراب، وصهيل الفرس.... ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد)². أول من دافع عن هذه النظرية من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني(هيردر) (Herder) في كتابه (بحوث نشأة اللغة) الذي نشره سنة 1772.

ومما قد يؤدي إلى هذه النظرية، ما نجده في بعض الأحيان، من اشتراك في بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فالمثال، إن الكلمة التي تدل على الهمس، هي في العربية_ كما تعرف:(همس)، وفي الإنجليزية Whisper، وفي الألمانية (فلوستون)Flustern، وفي العبرية(صففص)، وفي الحبشة (فاصي)، وفي تركية(سوسمك)Susmak، فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها في تلك الكلمة هو صوت الصفير:السين أو الصاد وهو الصوت المميز لعملية الهمس في

¹ محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1993م، ص148.

² نفس المرجع، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص112

الطبيعة¹. بمعنى أن بين اللفظ ومدلوله مناسب للطبيعة، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة، أو تلك بإزاء هذا المعنى أو ذاك.

ج- نظرية المواضيع والاصطلاحات:

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت من اتفاق بين الأفراد في المجتمع، وذكره ابن جني فقال: (إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظا يدل عليه، ويغنى عن إحضاره أمام البصر. وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص، و يوميؤن إليه قائلين: إنسانا فتصبح هذه الكلمة اسما له، وإن أردوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه الخ¹، الرواد في هذه النظرية هم ابن جني، ديموقريطس (الفيلسوف اليوناني). وقد تم بالفعل هذه النظرية التي بحثها الفلاسفة اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد².

د - نظرية التنفيس عن النفس:

هذه النظرية تذهب إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة تعجبية عاطفية، صدرت عن الإنسان، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة. فهذه الأصوات السانجة، قد تطورت على مر الزمان، حتى صارت ألفاظا. وتمتاز هذه النظرية، بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني، وبال الحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات وأحاسيس ولعلها كانت من الأصل مجرد غناء، ينظم بوزنه حركة المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة

¹ نفس المرجع، ص 113.

¹ - المرجع السابق، ص 111.

² - محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته قضاياها، دار ابن خزيمة للطباعة والنشر، السعودية، ط 2008، م 1، ص 56.

كصيحة الحيوان، تعبر عن الألم، أو الفرح، وتكشف عن خوف أو رغبة في الغداء. بعد ذلك لعل الصيحة اعتبرت، بعد أن زودت بقيمة رمزه، كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون. ولعلّ الإنسان قد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح قد استعمله للاتصال ببني جنسه، أو لإثارتهم إلى عمل ما أو لمنعهم منه.... هذا الفرض تبدو عليه مخايل الصدف ، وإن لم يكن مما يمكن البرهان عليه¹.

ه - نظرية الاستعداد الفطري:

هي النظرية التي ترى أن الله خلق الإنسان مفطوراً على قدرة استحداث أدوات الاتصال اللغوي وأن الإنسان مفطور على القدرة على التعبير عن انفعالاته. أصل اللغة في هذه النظرية أن الإنسان مزود بفطرته، بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه، بأية وسيلة من وسائل، غير أنه هذه القدرة على النطق بالألفاظ، لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة، أو في الوقت المناسب².

وهذه النظرية التي أدعها اللغوي الألماني: (ماكس ميلر) ودعاها نظرية: (دنج دونج) Ding Dang. دعا (ماكس ميلر) إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال، في حياتهم اليومية الحرة، التي تدل على أنهم توافقون إلى وضع أسماء للأشياء، التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، وأنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، إرضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة، التي أنشأ عنها الألفاظ³.

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن الأصل في اللغة هو أن الإنسان مزود بالقدرة على صوغ الألفاظ وهذه القدرة لا تظهر إلا عند الحاجة.

¹رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص115.

²محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص148.

³المرجع نفسه، ص117.

و - نظرية الملاحظة:

صاحب هذه النظرية هو العالم الألمان: (جيگر) فقد يرى هذا العالم على أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، من الأصوات اللغوية الأولى، يعبر عن أعمال وإشارات الإنسانية، فإن مشاهدة الإنسان لغيره هو متلبس بعمل من الأعمال الهامة، أو متأثر بحال انفعالية، أثارت أقصى اهتمامه، وجعلته يتأثر به متأثراً آلياً، بطريقة المحاكاة العكسية، فنظر على وجهه علامات التأثر نفسها البادية على وجه زميله. وعلى مر الأيام، وبتكرار التجارب المتشابهة، تطورت الأصوات إلى كلمات واستغنى عن الإشارات كلها، أو بعضها على الأقل¹.

وقد أقبل صاحب هذه النظرية على كثير من أعمال المستعملة في اللغات الأوروبية، أو رجعها إلى أصول، تدل على عمل من أعمال الإنسان، مثال ذلك: الأصل الإغريقي الذي معناه: (الكشط) أو (السلخ)، اشتقت منه كلمات معانيها: الجلد والخشب والشجر، وهنا نرى العلاقة واضحة بين هذه الفروع وأصلها، فإن الجلد هو ما يسلخ، والخشب شجر كشط لحاؤه، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب².

ز - نظرية التطور اللغوي:

قد تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام التي أذاعها (دارون) وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامة، وفي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة. ويقول على النمو اللغوي للطفل يشبه تطور لغة النوع الإنساني. هم يزعمون أن لغة الإنسان الأول، سلكت مراحل فطرية متعددة متمشية مع مراحل النمو العقلي³.

¹نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص115.

²المرجع نفسه، ص117.

³المرجع نفسه، ص119.

المبحث الرابع: مراحل اكتساب اللغة وطرائق تحصيلها

مفهوم الاكتساب:

لغة:

" الكسب: طلب الرزق، ورجل كسوب يكسب: يطلب الرزق، وكسّاب: اسم للذئب وربما يجيء في الشعر: كسب وكسيب...كساب، فعّال، من كسب المال¹.

وجاء في القاموس المحيط في باب الباء: "الكسب:كسبه يكسبه كسبا وتكسب واكتسب،طلب الرزق. وفلان طيب المكسب والمكسّب، أي طيب الكسب، والمكسبة كالمغفرة¹.

اصطلاحا:

الاكتساب: " ما هو إلا عملية فطرية عفوية يقوم بها الطفل دون قصد أو اختيار، وتكون في سياق غير رسمي باكتساب اللغة وممارستها².

هو المراحل المختلفة التي يمر بها الكفل منذ لحظة الولادة حتى يستطيع التحكم في لغة المجتمع الذي ولد فيه، يستعملها غالبا حينما يصل إلى السنة الرابعة أو الخامسة من عمره على أكثر³.

¹ خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي. ج5، ص315.

² علي القاسمي، لغة الطفل العربي دراسات في السياسة اللغوية و علم اللغة النفسي، مكتبة لبنان، ط1، ص55.

³ حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص12.

وهناك من يعرف الاكتساب: "زيادة أفكار الفرد ومعلوماته، أو تعلمه أنماط جديدة للاستجابة، أو تغيير أنماط استجاباته القديمة¹.

الاكتساب اللغوي:

إنّ الاكتساب اللغوي عملية تلقائية يقوم بها الطفل دون قصد منه، ودون معرفة مسبقة بقواعد لغته وقوانينها "وإن كان يملك القدرة الكامنة التي تلازمه بلا وعي، وتسمح له بأن يفهم وينتج عددًا غير محدود من الجمل الجديدة " فهو يستخدم في بداية اكتساب اللغة منشئه معظم كلمات التي تشير إلى الأب والأم، أو الحيوانات الأليفة².

يقصد باكتساب اللغة: "تلك العملية غير الشعورية وغير المقصودة التي يتم بها تعلم اللغة الأم ن ذلك أنّ الطفل يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية وهو غير واع بذلك، ودون أن يكون هناك تعلم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال وهم يكتسبون لغتهم الأولى. فهم لا يتلقون دروسا منظمة في قواعد اللغة وطرق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم، مستعين بتلك القدرة التي تزودهم بها الله تعالى، والتي تمكّنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة وبمستوى رفيع³.

مراحل اكتساب اللغة عند الطفل:

تمر اللغة عند الطفل بمراحل نمو مختلفة تتناسب مع كل مرحلة من مراحل النمو اللغوي عند الطفل، حيث تبدأ اللغة عند الطفل بسيطة ساذجة، ثم

¹ مرهف كمال الجاني، معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ج1، ص6.

² حسام البهنساوي، علم اللغة النفسي واكتساب اللغة، مكتبة الغزالي، الفيوم، ص32.

³ عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفس، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1982، ص184.

تصل إلى قمة تنوعها وثرائها عندما تبلغ اللغة نضجها على السنة الأطفال وبذلك تتساوى مع لغة الراشدين، وفيما يلي تفصيل من المراحل:

أ- مرحلة ما قبل اللغة أو مرحلة الأصوات غير اللغوية:

وهي مرحلة تمهيد واستعداد، يصدر فيها الطفل أصواتًا انفعالية غير إرادية ترتبط فيها أعضاء النطق ارتباطًا آليًا بالحالات النفسية والجسمية للطفل، وتعتبر منبه غير إرادي يدفع المحيطين بالطفل إلى الاهتمام به، ويمر الطفل بهذه المرحلة منذ ولادته إلى أن يبلغ الشهر السادس تقريباً¹، وتشتمل دورها على ثلاث فترات وهي:

ب- فترة الصراخ والبكاء:

تبدأ هذه الفترة بالصرخة الأولى- صرخة الميلاد- حيث تمثل أو استعمال للجهاز النفسي، ولهذا في الأسابيع الأولى من حياة الطفل أهمية في تمرين الجهاز الكلامي عند الطفل ووسيلة اتصال بالآخرين وإشباع حاجاته، فالطفل يستخدم الصراخ خلال هذه المرحلة للتعبير عن حالاته الوجدانية ودوافعه المختلفة، وعلى ذلك فالوظيفة التي يؤديها الصراخ خلال هذه الفترة من حياة الطفل هي وظيفة اللغة وأبسط صورها، أي الاتصال بالآخرين لطلب العون منهم لإشباع الحاجات وهو يستخدم هذه الأداة اللغوية وشبه اللغوية لتحقيق حاجاته أولية².

وهناك عدة أسباب لصراخ، منها الألم المتعلق بالتغذية والإخراج إضافة إلى المنبهات القوية، الأوضاع غير المريحة، الاضطرابات القوية أثناء النوم، التعب والخوف³

¹ علي القاسمي، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 2011، 4، ص 232.

² المرجع نفسه، 233.

³ - أحمد قاسم، مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 2000، ص 110

ويعتبر بكاء الأطفال حديثي الولادة أسلوبهم في التفاهم، ولذلك نجد الكثير من الأمهات والمربيات يمكنهنّ أن يتبيّن دافع البكاء ونوعيته، ويهتمهم إيقاف البكاء لصالحهم أحيانا، ولصالح الوليد أحيانا أخرى، ويتم ذلك بإطعام الرضيع فإن لم ينفع فيكون بالهددة أو الهزهزة السريعة، ومع ذلك فإن لبعض الباحثين يرون ضرورة عدم الإفراط في رعاية الطفل بهذه الأشكال عند بكائه لكيلا تدعم البكاء لديه لإشباع حاجات غير ضرورية، خصوصا وأن الوليد قد يستعمل البكاء كأسلوب لاستمرار احتضان وصحبة والدته¹.

ج- فترة المناغاة:

المناغاة هي عبارة عن لعب عشوائي لا يهدف منه الطفل إلى الاتصال بالغير أو التعبير لهم وإنما غرضه من هذه الصورة الخاصة من النطق هو ممارسة الأصوات وإتقانها تدريجيا، مع العلم أن أصوات مناغاة في بعض الأحيان تشير إلى أنواع من الخبرات عاشها الطفل، وبالتالي فهو بتكراره لهذه المقاطع يؤكد في نفسه مضمون هذه الخبرات، ويمكن القول إنما مظهر يخلف الصراخ وتستغرق وقتا يتراوح بين بضعة شهور وبين عام أو أكثر².

وتوجد هذه المرحلة في جميع الحالات حتى الصم البكم، وهي شكل من أشكال اللعب لإنعاش الذات وللاستغراق النفسي، يذكر "بويتندايك" أنّ المناغاة نشاط لاجب، يعتمد على تكرار الأصوات بكلّ بساطة، وشبيه بهذا النشاط ما نجده عند البيغاوات وثرثارات طيور أخرى، فوظيفتها إذن لا تتعدى كونها نشاط يحقق للطفل سعادة، ويجد المتعة في مجرد إصداره وترديده.

كما يلاحظ وجود فروقات تميز لنا الصراخ من المناغاة، وهي كالتالي:

¹ محمد عماد الدين إسماعيل، الطفل من الحمل إلى الرشد، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط2، ج1، ص172.

² صالح الشماع، اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، دار المعرف للطباعة والنشر،

مصر، 1995، ص59

- 1- الصراخ غير ملحن ولا يسير على إيقاع، في حين أن المناغاة منغمة ذات ألحان تتغير حسب حالات الطفل الوجدانية.
- 2- الصراخ غير مقطعي والطفل في مرتبة حيوان بحت، بينما المناغاة أصوات مقطعية والمقطعية صفة الكلام الإنساني من حيث هو مميز عن كلام الحيوانات، فالمناغاة عمل إنساني ظاهر.
- 3- الصراخ غير محدود النطاق وتسجيله ليس بالعسير في حين أن المناغاة تتجاوز كل قدرة على تسجيلها كما أكد "ماكارثي" على الصعوبات التي يقف حجرة عثرة أمام البحث في هذه الاستجابات النطقية مع التقدم الكبير الذي حصل في مجالات التسجيلات الميكانيكية والكهربائية فإن استغلال هذا الفن في دراسة لغة الطفل لا يزال حتى الآن.

- 4- الصراخ يخدم غرضاً بيولوجياً، ويجب الانتباه لحاجات الطفل المباشر، والمناغاة تسهم في تسليية الطفل وتخدم حاجات عاجلة أو آجلة.
- 5- الصراخ غالباً ما بنى عن انفعالات غير مسرّة، بينما المناغاة تصاحب الرضا¹.

د- فترة التقليد والمحاكاة:

تبدأ هذه المرحلة عند الأطفال العاديين من نهاية السنة الأولى من العمر إلى سنّ الخامسة أو السادسة، وفي هذه المرحلة يقّد الطفل الأصوات التي يسمعها تقليداً خاطئاً، فقد يغير أو يحذف أو يحرف مواقع الحروف في الكلمات التي ينطقها، ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة، أهمها:

- عدم نضج الجهاز النطقي.
- ضعف الإدراك السمعي.

¹المرجع نفسه، اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، ص64-66.

● قلة التدريب.

لكن مع استمرار عوامل النضج والتعلم والتدريب، تصبح قدرة الطفل أكثر دقة، كما أن كلام الطفل في هذه المرحلة لا يكون مفهوماً إلا عند أفراد عائلته، أو أقاربه، وتلعب الأم دوراً هاماً في تصويب الألفاظ لطفلها، وتعويده على النطق السليم¹.

ولقد أثبت العديد من الباحثين أمثال "بريبر" و"اشترن" أهمية هذه المرحلة، معتبرين إياها أهم عامل في اكتساب اللغة عند الفرد، وأنها مرحلة حساسة فيه، وتقول المؤلفة مكارثي: "أن أهم مجال لعمل المحاكاة في الطفولة هو المجال اللغوي والحركي"، أي أن الطفل خلال هذه المرحلة يقوم بتقليد المحيطين به في إيماءاتهم وتعبير وجوههم، وهذه الإيماءات والحركات تعتبر وسيلة من وسائل التواصل ويؤكد على ذلك مايكل كورباليس بقوله: "إن الإنسان القديم بدأ بالتواصل من خلال إشارات اليدين مع عدد محدود من الصرخات والأصوات، ثم تطوّر التواصل لديه بنمو الأصوات وانحصار فقط"².

وهنا شبه كورباليس الطفل بالإنسان البدائي، فكما يقلد الإنسان البدائي أصوات بيئته يقلد طفل أصوات المحيطين به، ومع تطور التواصل عند الإنسان البدائي للكلام يصل طفل اليوم بدوره إلى هذه المرحلة عند نموه³

هـ- مرحلة اللغوية أو بداية الأصوات اللغوية:

بعد المرحلة قبل اللغوية التي هي فترة استعداد وتهيئ ينتقل الطفل إلى المرحلة اللغوية، ففي هذه المرحلة يستطيع الطفل فهم لغة الأفراد المحيطين به، ثم يبدأ في التعبير عنها تدريجياً وتضم بداية الأصوات اللغوية المراحل التالية:

¹المرجع نفسه، ص101.

²المرجع نفسه، ص103.

³علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص235.

و- مرحلة الكلمة الواحدة:

يبدأ ظهور الكلمات الأولى عند الطفل، بعد مرحلة التقليد اللغوي، بظهور الكلمات تبدأ وظيفة اللغة عند الطفل في التطور والارتقاء، وذلك لأنّ الارتقاء اللغوي للطفل في السنوات الثلاث الأولى من عمره يكسبه العضوية في المجتمع، ويتيح له فرصاً أكثر للاتصال بغيره، إذ يكون أقدر على التعبير عن أفكاره ورغباته وميوله، وبذلك يكون الكلام عاملاً في نمو لطفل الاجتماعي وزيادة خبراته، يرجح بعض الباحثين أن أول الحروف ظهوراً عند الطفل هي الحروف الساكنة وتحديدًا الحروف الأمامية التي تنقسم إلى قسمين:

حروف شفوية (نسبة إلى الشفاه) مثل: حرف الباء.

حروف أسنانية (نسبة إلى الأسنان) مثل: الدال والتاء.

وترجع أسبقية هذه الحروف إلى أن الطفل حين يستعيد للقيام بما يتوقعه للقيام من الرضاعة تكون الأصوات التي يصدرها قريبة من الشفتين أو الأسنان¹.

أول ما يستعمله الأطفال من المفردات هو الأسماء وبالأخص الأسماء المحيطين به... حيث أن هم الطفل الوحيد في هذه المرحلة هو معرفة أسماء الأشياء ثم بعد ذلك يبدأ الطفل باستعمال الضمائر لأول مرة وهذا عند أواخر السنة الثانية، ويأخذ في استعمال الأفعال في السنة نفسها كذلك... حتى إذا بلغ الطفل ثلاثين شهراً تناقصت الأسماء وتزايدت الأفعال والضمائر وبعض الظروف وأحرف الجر..، والكلمة الأولى التي ينطقُ بها الطفل تكون أحياناً أو دائماً ذات مقطع صوتي واحد مثل: ماما-بابا²

ومن خصائص هذه المرحلة -التعميم الزائد- حيث يستخدم الطفل كلمة واحدة ليغطي عدداً من المثيرات والمفاهيم، وفي هذه المرحلة يفهم الطفل بعض

¹عزيز حنا داوود، الطفل في مرحلة المدرسة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص58.

²حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2003، ص5، نص143.

الأوامر البسيطة ويعرف أجزاء جسمه ويشير إليها، وتقليد الوالدين هو الذي يعلم الطفل، خاصة إن كان اللفظ يصاحبه فعل ، أي الصوت متبوعاً بإشارة اليد، كإشارة الوداع أثناء القول إلى اللقاء¹.

ز- مرحلة الكلام الحقيقي:

تبدأ مراحل تكوين الجملة، ويدخلُ الطفلُ مرحلةَ إصدارِ الأصوات أو التعبير عن أنفسهم بكلمتين، فيقومُ بجمع كلمتين لتكوين جملة ما، ثم تتطور لغته في هذه الفترة حتى الثلاث سنوات بحيث يستطيع فهم الأفعال والأنشطة المختلفة، أي أن الطفل في هذه المرحلة يصبح بمقدوره البدء بالكلام وفهم مداولات الألفاظ ومعانيها وتحديداً في السنة الثانية تبدأ مراحل تكوين الجملة لديه بدءاً بالكلمة الواحدة ، ويدخل مرحلة إصدار الأصوات أو التعبير عن نفسه بكلمتين، إذ يقوم الطفل بين الكلمتين لتكوين جملة ما. وتتطور لغة الطفل في هذه المرحلة حتى مرحلة الثلاث سنوات بحيث يستطيع فهم الأفعال والأنشطة المختلفة، ويستوعب القصص المصوّرة ويعرف أسماء أعضاء جسمه، ويتقدم النمو اللغوي لديه بشكل ملحوظ مع تقدّم في العمر، وتنمو لغته الإستقبالية والتعبيرية وبذلك يمكنه الإجابة على تساؤلات الآخرين، كما يستطيع في هذه المرحلة اختيار الكلام المناسب للمواقف المناسبة ويقلد الأصوات، ويكمل الجمل الناقصة².

آليات اكتساب اللغة:

لا بد من توفر عدة آليات وأسس حتى يتمكن الطفل من اكتساب لغة الأم أو التلميذ من اكتساب اللغة الفصحى أو الأجنبية، وهذه الآليات تتمثل في:

¹ على القاسمي، مجلة الممارسات اللغوية، مرجع سابق، ص 234.

² أديب عبد الله محمد النوايسة، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، دار الإصدار العالمي ومكتبة المجتمع العربي للطباعة والنشر، ط 1، م 1436/2015، ص 52.

القدرة على الكلام:

يقصد به سلامة المخ والجهاز العصبي والحواس المسؤولة على نقل الرسائل الحسية وتلقي الإجابة، مع نمو الباحات الخاصة بالحواس واللغة في المخ، التي تعمل على الترميز وفك الترميز اللغوي، بطرق متعددة ودقيقة جدا، ونمو القدرة اللغوية لدى الطفل تمر على مراحل هي:

- تحديد المعاني لكل المسميات وكل ما يحيط به عن طريق الحواس (اللمس الشم، السمع، الرؤية، الذوق) .
- تخزين المعاني في الذاكرة، وهنا التكرار يلعب دورا في مساعدة خلايا الذاكرة على تخزين كل التفاصيل.

-الفهم اللغوي: يبدأ الطفل بالتكوين الصورة الصوتية للكلمات كأسماء الأشخاص والأشياء المخزونة في ذاكرته، ويبدأ في الفهم تدريجيا بربط الأشياء والأشخاص وكل ما يحيط به من ظروف بصورها الصوتية ليستنتج المعاني.

- وآخر مرحلة يصل إليها نمو القدرة اللغوية لدى الطفل هي التعبير اللغوي فبعد تصنيف المعاني وفهم المنطوق والمحسوس وانطلاقا من الصورة الصوتية للكلمة، تشتغل المنطقة الحركية في الدماغ الخاصة بترجمة الرسائل اللغوية العصبية إلى أفعال منطوقة، وهكذا يتمكن من نطق الكلمة.

معرفة الكلام:

المنطلق يكون من معاش الطفل فيكون حسب كمية وتنوع الظروف التي يعيشها إضافة إلى طبيعة الأحاسيس التي يشعر بها أثناء تجارب سعيدة أو محزنة، وذلك يكون عن طريق إدراك جميع المعاني مع الحركية بصفة عامة.
فمن معاشه يستخلص المعاني والمعرفة التي يكتسبها عن نفسه أولا ثم عن الأشخاص والعالم المحيط به ، وتكتمل المعرفة الكلامية لدى الطفل إذا تمت لديه

بشكل سليم بعض المفاهيم المتمثلة في : الجاذبية ، المخطط الجسدي ، المكان
الزمن.

الإرادة في الكلام:

تكون في مستوى التواصل وترتبط بالجانب العاطفي
والعواطف مكتسبة نتيجة معاش الطفل أي طبيعة ونوعية الظروف
السابقة وطبيعة ونوعية الظروف الحاضرة، فالمعاش العاطفي للطفل
يدخل في الوضعية الحاضرة فيسمح بتحرير ودفعه للكلام أو العكس تكفه
عن ذلكم، لذا فالتعلم الجيد لا بد أن يفتعل في عواطف حركية وفي
إيجابيات¹.

العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة:

هناك عدة عوامل تؤثر في اكتساب اللغة عند الأطفال، ومن هذه العوامل:

مستوى الذكاء

الذكاء مصطلح يتضمن عادة الكثير من القدرات العقلية المتعلقة
بالقدرة على التحليل والتخطيط، وحل مشاكل، وسرعة المحاكمات العقلية، كما
يشمل القدرة على التفكير المجرد وجمع وتنسيق الأفكار والتقاط اللغات، وسرعة
التعلم كما يتضمن أيضا حسب بعض العلماء القدرة على الإحساس وإبداء المشاعر
وفهم مشاعر الآخرين¹، فكلما ارتفع مستوى الذكاء لدى الطفل، زادت سرعته في
تعلم واكتساب المهارات اللغوية والكلامية أو التعبيرية، حيث تشير الدراسات إلى
أن الأطفال الموهوبين مرتفعي الذكاء يتمكنون من الكلام قبل الأطفال العاديين في
الذكاء، وعليه نجد أن البحوث التي درست العلاقة بين التطور اللغوي وعامل
الذكاء قد كشفت عن تواجد علاقة ارتباط قوية وموجبة بين المتغيرين، كما أن

¹ بلقاسم جياب، آليات اكتساب اللغة وتعلمها، مقالة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، نص 106-108.

¹ [http //alwtanvoice.com/content/print/240882.html](http://alwtanvoice.com/content/print/240882.html).

الأطفال الأذكياء يميزون كلمات أكثر من الطفل المتوسط والضعيف، إلى جانب تخلف الأطفال الأقل ذكاء في القدرة على التمكن من الكلمات والتراكيب، وحجم المفردات، وطول الجملة و استخدام المعاني المجردة، وإدراك الفروق بين المعاني المختلفة¹، وفي نفس الوقت " يعتبر أن المتخلف العقلي والاجتماعي يستعمل رموزا لفظية محدودة، تكون سهلة التمفصل، بينما يتعامل مرتفع الذكاء بكودات لغوية أكثر تعقيدا، أشدّ تركيبا من حيث التمفصل والتحديد والاتساع².

وأما عن اسهامات الذكاء أثناء النطق بالكلام وفهم مدلولاتها في حياة الفكر والجسم، حيث يكون الذكاء قبل كل شيء نظام عمليات حية وفعالة أكثر سلاسة وديمومة في آن، فهو تكيف عقلي جد متطور ؛ أي جهاز تبادلات ضروري بين الفرد والعالم الخارجي³

ترتيب الطفل بين إخوته:

يقصد به ترتيب الطفل بين أخويه في الأسرة، حيث " يتأثر النمو اللغوي للطفل بتفاعله مع إخوته، فهم يتيحون له فرص أكثر للكلام خلال القيام بنشاطات المشي، فالطفل الأصغر يقلد أخاه الأكبر منه في طريقة الحوار والتعامل مع الآخرين، وهكذا يؤدي هذا التقليد إلى اكتساب المهارات المختلفة، وإثراء الرصيد اللغوي والمعرفي " ⁴. فعند فقد الأم إثر مرض أو وفاة، يأخذ الابن الأكبر أو الإخوة النصيب الأكبر من الوقت لتعليمهم الطفل الصغير، محاولين ملئ الفراغ العاطفي والنفسي واللغوي لأخيه، وبالتالي يكون النمو اللغوي والتعبيري أكثر عند الابن الأصغر

¹، مكتبة المجتمع 1 أديب عبد الله محمد النوايسة، إيمان طه طابع القطاونة، النمو اللغو والمعرفي للطفل، ط1، العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1436هـ-2015م، ص55.

²ألفت حقي، المدخل إلى علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص127

³جاف بياجيه، سيكولوجية الذكاء، ترجمة: يولاند عما نونيل، عويدات للنشر

والتوزيع، بثوث، ط، 2002 ص19

⁴-أديب عبد الله محمد النوايسة، إيمان طه طابع القطاونة، النمو اللغو والمعرفي للطفل، مرجع

سابق، ص53.

المستوى الاقتصادي والاجتماعي:

كلما كان المستوى الاجتماعي والاقتصادي أعلى، كلما كانت الأنشطة التي تمارس مع الأطفال أكثر تنوعاً وأكثر تنظيماً، مما يتيح للطفل على اكتساب المفردات والقدرة الجيدة على التعبير والكلام، حيث يرى "برينستين" "Brinstin" أن أبناء الطبقة الفقيرة يتواصلون بمعرفة رمزية محددة تنقلها الإشارات غير اللغوية، وذلك خلافاً لأبناء الطبقتين المتوسطة والعليا الذين يستخدمون رمزية متقدمة تمكن من نقل كل مضامين الحوار لغويًا، كما يضيف أن الفروق اللغوية تؤدي إلى توجهات متباينة تشمل بقية جوانب الحياة، مثل التربية، والعلاقات التبادلية واللغة برأيه تشكل العامل الاجتماعي وتؤطره¹.

حجم العائلة ودور الأسرة:

العائلة الصغيرة توفر جو مناسب للطفل على تعلم الكلام وزيادة المخزون اللفظي عنده، ويعود ذلك إلى وجود الوقت الكافي لتعليم الطفل والقدرة على بذل مجهود أكثر، أما في العائلة الكبيرة لا يوجد الوقت الكافي لتعليم الطفل، ومن هنا نبرز دور الوالدين في تنشئة الطفل وبناء شخصيته بما فيها التنشئة اللغوية، لذلك الأبوان دورا هاما في زيادة عدد الأصوات التي ينطقها الطفل، وهنا يجب تشجيع الأطفال على الاختلاط بالراشدين فلغتهم أفضل نماذج لغوية التي يمكن أن يحاكيها، وكلما اتصل الطفل بوالديه وبالكبار عامة، كلما كان أكثر قدرة على الكلام مبكرا، ونجد أن تواصله مع الآخرين يساعده على تطوير قدرته على الكلام، لأنه يصبح في حالة محاكاة لغوية دائمة، لذلك يجب أن يقوم الآباء بتخصيص وقت كاف للحديث مع أطفالهم، كما يقومون بتشجيعهم وتحفيزهم على

¹ميخائيل إبراهيم أسعد ومالك سليمان مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط2، 1982، ص166-167.

التحدّث في حضورهم¹، وهكذا فإن تنشئة الطفل في الوسط الأسري، واختلاطه بالبالغين الراشدين يشجع سلوكه اللفظي، وبالأخص إذا كان المحيط الذي ينتمي إليه يسمح له بالاستماع والتقليد والتحدّث مع الأجداد والوالدين.

والأسرة من مزاياها أنها تقدم أنواع التعلم ولا يعني ذلك تعليم القراءة والكتابة، وإنما يعني الحرفة والصناعة أو الزراعة، والتربية البدنية، والشؤون المنزلية².

جنس الطفل:

توصلت أهم نتائج الدراسات أن الأطفال الإناث في مرحلة ما قبل المدرسة أكثر قدرة على التكلم والتعبير من الأطفال الذكور فمن المتوقع أن يتكلم الذكور أقل من الإناث وأن يختلف محتوى الحديث والطريقة التي يتحدّثون بها³. أو بمعنى آخر النمو اللغوي عند الإناث يكون أسرع منه عند الذكور بسبب وفرة الوقت الذي تقضيه البنات بجانب أمها أكثر من الذكور الذين ينصرفون إلى اللعب خارج البيت في الغالب.

وما نلاحظه من خلال الأبحاث أن البنات يمتازون على البنين في القدرة اللغوية، ونجد في أبحاث عالم "ميد" أن الطفل يبدأ التكلم في السن الخامسة عشر شهرا ونصف 5. 15، بينما تبدأ الطفلة المتوسطة كلامها في سن 8. 14 شهرا وأسفرت أبحاث "مكارثي" على أن نسبة الاستجابات المفهومة عند الذكور تبلغ 14% في سن 18 شهراً.

النضج والعمر الزمني:

¹ أنيس محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، ص 186-187
² سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ-1984م، ص 57-58.

³ أديب عبد الله محمد النوايسة، إيمان طه طابع القطاونة، النمو اللغو والمعرفي للطفل، مرجع سابق، ص 53.

تعتمد عملية اكتساب اللغة إلى حد كبير على النضج البيولوجي، حيث تتطلب التطور الملائم لمناطق الدماغ الخاصة بالكلام، والتي تتحكم بآليات ربط الأصوات والأفكار. والطفل الذي يتطور لديه مناطق الدماغ المهمة للكلام واللغة قبل غيره من الأطفال الآخرين فإنه يتفوق عليهم في اكتساب اللغة.

الحرمان العاطفي:

الأطفال الذين ينشؤون في بيئة محرومة هم أكثر تأخرًا في تطورهم اللغوي وكذلك تشجيع الآخرين وعطفهم على الطفل يجعله أكثر سرعة في اكتساب اللغة. فغياب الوالدين ونقص الرعاية والاهتمام يؤدي إلى تعثر في عملية اكتساب اللغة، فكلما ازداد الحرمان زاد التأخر في اكتساب اللغة بشكل خاص وفي جميع الجوانب بشكل عام¹.

التحاور مع الطفل خلال اللعب:

إن الكلام الذي يستعمله الوالدان أو المربون خلال اللعب مع الطفل بسيط وسهل فهو مكون من جمل قصيرة واضحة وقريبة جدا من قدرة الاستيعاب عند الطفل وهذا ما يساعده في اكتسابه للغة ويسمح له أن يدرك الربط بين الشيء والظرف المحيط به ويفده مستقبلا على استخدام هذه الظروف نفسها كمرجعية لفهم معنى الكلمات ولإدخال كلمات جديدة تلائم مع نفس الظروف ، فنمو ثقة الطفل فيمن حوله ، هو الأساس الأول لنمو نفسي ، وليس فقط في نواحي الشخصية بل أيضا في النواحي المعرفية².

1-مصطفى حجازي، الصحة النفسية منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص173.

2-محمد عماد الدين إسماعيل، الطفل من الحمل إلى الرشد، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، ج1، ط1415، ه-1995م، ص220.

الفصل الثاني : مفهوم الملكة اللغوية بين العلماء العرب والغرب

تمهيد.

المبحث الأول: مفهوم الملكة (لغة واصطلاحاً).

المبحث الثاني: مفهوم الملكة اللغوية عند علماء العرب القدامى.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة اللغوية عند علماء العرب المحدثين.

المبحث الرابع: مفهوم الملكة اللغوية عند علماء العرب المحدثي

تمهيد:

تعددت المفاهيم والمصطلحات عبر العصور والأزمنة. واختلفت باختلاف الأجناس البشرية ومستوياتها العلمية والثقافية تبعًا لاختلاف عاداتها وتقاليدها وعلومها. ولقد انتبه العلماء منذ القدم- بما فيهم علماء العرب- إلى مسألة البحث في المصطلحات رغبة في التأسيس للعلوم من جهة ووضع أسس وحدود عامّة تظهر من خلالها هذه العلوم من جهة أخرى. وإذا أتينا إلى علماء العرب القدامى وجدناهم قد اهتموا كثيرًا بعلوم دون أخرى، وبالتالي بالبحث في بعض المفاهيم ومصطلحاتها خاصة العلوم الفقهية والعلوم اللغوية، علم الكلام، والفلسفة، وعلوم الطبّ، نحو ما نلمسه مع " ابن سينا " " سيبويه "، " ابن تيمية"، " الجاحظ"..... وغيرهم. ومن بين تلك المصطلحات المهمة التي تداولها علماء العرب كعبد القاهر الجرجاني، " الفارابي"، و" ابن 3خلدون " و"ابن جني" و"ابن منظور" و"ابن فارس" وأيضا "الخليل بن أحمد الفراهيدي" ، نجد مصطلح الملكة أو القدرة أو التمكّن ، فما المقصود بهذا المصطلح لغة واصطلاحاً ؟

المبحث الأول: مفهوم الملكة

المفهوم اللغوي للملكة:

جاء في المعجم العين في مادة (م ل ك): "أَنَّ الْمُلْكَ لَللَّهِ ، وَالْمَلَكُوتُ : مُلْكُ اللَّهِ، وَمَلَكُوتُ اللَّهِ :سُلْطَانُهُ، وَالْمُلْكُ : مَا مَلَكَتِ الْيَدُ مِنْ مَالٍ، وَالْمَمْلُوكَةُ: سُلْطَانُ الْمُلْكِ فِي رَعِيَّتِهِ ، يُقَالُ طَالَتْ مَمْلَكَتُهُ ،وَعَظَمَ مُلْكُهُ، وَكَبُرَ، وَالْمَمْلُوكُ: الْعَبْدُ أَقْرَ بِالْمُلُوكَةِ ، وَالْعَبْدُ أَقْرَ بِالْعُبُودِيَّةِ ،وَأَصُوبُهُ أَنْ يُقَالَ: أَقْرَ بِالْمَلِكَةِ، وَبِالْمُلْكِ، وَمَلَاكَ الْأَمْرَ: مَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَالْقَلْبُ، مَلَاكَ الْجَسَدَ، وَ الْإِمْلَاكُ: التَّرْوِيجُ، قَدْ أَمْلَكُوهُ أَوْ مَلَكُوهُ ، أَي: رَوَّجُوهُ، شَبَّهَ الْعُرُوسَ بِالْمُلْكِ " 1.

وذهب "ابن جني" في باب الفصل بين الكلام والقول: " أَنَّ مَلَكًا مِنْ مَلَكَتِ الْعَجِينُ إِذَا أَنْعَمَتْ عَجْنَهُ فَانْتَدَّتْ، وَمِنْهُ مَلَكَ الْإِنْسَانُ، وَيُقَالُ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ يَدِيَّ، وَذَلِكَ قُوَّةٌ، وَقُدْرَةٌ مِنْ الْمَالِكِ عَلَى مُلْكِهِ، وَمِنْهُ الْمُلْكُ لِمَا يُعْطَى صَاحِبَهُ مِنْ الْقُوَّةِ وَالْغَلْبَةِ " 2. ويقول أيضا " ابن فارس" في مادة (م ل ك): " أَنَّ الْمِيمَ وَاللَّامَ وَالْكَافَ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَصِحَّةٌ يُقَالُ: أَمْلَكَ عَجِينَهُ، وَشَدَّهُ، وَمَلَكَتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ.

ثم يقول: مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مُلْكًا، وَالاسْمُ الْمَلِكُ، فَالْمُلْكُ مَا مَلَكَ مِنْ مَالٍ، وَالْمَمْلُوكُ الْعَبْدُ وَفُلَانٌ حَسَنُ الْمَلِكَةِ: أَي حَسَنُ الصَّنِيعِ إِلَى مَمَالِكِهِ " 3. وجاء في لسان العرب: "الْمُلْكُ وَالْمُلْكُ إِحْتَوَاءُ الشَّيْءِ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ بِهِ، وَطَالَ مُلْكُهُ وَمَلَكَتُهُ، عَنِ الْحَيَاتِي، أَي رَقَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ حَسَنُ الْمَلِكَةِ وَالْمَلِكِ.

¹الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مادة (م ل ك)، ج5، ص380.

²ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1971م، ج01، ص34.

³ابن الفارس ن مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1991م، مادة (م ل ك)، ج5، ص352.

وفي الحديث: " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيءُ الْمَلَكَةِ، متحرك ، أي الذي يسيء صحبة الممالك ويقال: وَقُلَانُ حَسَنُ الْمَلَكَةِ إِذَا كَانَ حَسَنَ الصَّنِيعِ إِلَى مَمَالِكِهِ وفي الحديث: حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ، هُوَ مِنْ ذَلِكَ " 1.

جاء في المعجم الوسيط: " الملكة صفة راسخة في النَّفس أو استعداد عَقْلِي خاص لتناول أعمال مُعَيَّنَة بحذق ومهارة مثل الملكة العددية والملكة اللُّغَوِيَّة وَالْمَلِكُ يُقَالُ هُوَ مَلِكَةٌ يَمِينِي وَقُلَانُ حَسَنُ الْمَلَكَةِ يَحْسَنُ مُعَامَلَةَ خَدَمِهِ وَحَشَمٌ " 2. أما ما جاء في القاموس المحيط: " مَلَكٌ مَلِكُهُ يَمَلِكُهُ مَلِكًا مُتَلَثِّةً، وَمَلَكَةٌ: مُحَرِّكَةٌ، وَمَمَلَكَةٌ بِضَمِّ اللَّامِ أَوْ يُثَلَّثُ: اِحْتَوَاهُ قَادِرًا عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ بِهِ " 3.

المفهوم الاصطلاحي للملكة:

1. عند الفارابي:

يرى الفارابي أن الملكة بمثابة الفطرة أو الاستعداد الذي يولد للإنسان مزود به ويمكن قول كذلك أنها نزوع فطري مثل النزوع نحو الحركة وبالملكة الطبيعية فالفطرة هي الوجود بالقوة لا ترتبط بالعادة أو صناعة أو تكرار إذ يقول: " والإنسان إذ خلا من أول ما يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة... وأول ما يفعل شيئاً من ذلك بفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتماد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة. وإذا كُرِّر فعل شيء من نوع مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية... " 4

والفارابي يقسم الملكة إلى قسمين: ملكة خلقية وملكة صناعية، ورغم أنه يؤكد على الفطرة إلا أنه يرى أن المَلَكَات قد تحدث بموجب تكرار أو العادة

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1997، 6، مادة (م ل ك)، مج 01 نص 349.
2 إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية للطباعة والنشر، ط 2004، 4م.

3 الفيروز الأبدى، القاموس المحيط، توثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1999م، مادة (م ل ك)، ص 852.

4 ينظر: أبو نصر محمد الفارابي، الحروف تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق ن بيروت - لبنان، 1970م، ص 513.

بشكل اختياري حيث يقول : " ... ثم للملكات الحاصلة من اعتياد تلك الأفعال من أخلاق وصنائع...".¹ وهنا يبين الاستعدادات أو الملكات المرتبطة بالعادة تتشكل في الأخلاق والصنائع ، وذلك ليس دفعة واحدة وإنما بتراتب وتعاقب ، وبالتالي الفارابي يربط الملكة بالعادة والتكرار رغم أنه لا يجعلهما من طباعة واحدة لأن التكرار يمثل شروط الحصول الملكة حسب مدة زمنية معينة ، كما يفرق بين الملكات المتعلقة بالجانب الروحي أو المعنوي فقط وهي الأخلاق والملكات المتعلقة بالجانب العضلي كذلك مثل الصنائع وهنا يقول: " ...والذي يكتسب به الإنسان الخلق أو ينتقل لنفسه عن خلق صادفا عليه هو الاعتیاد ، وأعني بالاعتیاد تكرير فعل الشيء الواحد مرارا زمنا طويلا في أوقات متقاربة " .²

وعلى هذا الأساس نجد الفارابي قد وضع شروطا ضرورية متشابهة لحصول على الملكة بحيث يجمعها في:

1. ضرورة التكرار المتواصل والدائم.
2. المقياس الزمني، أي لابد وأن تكون فترات التكرار طويلة أولا، ومتساوية المدى ثانيا.

وهنا الفارابي يفرق بين الملكات ويحاول تحديدها في محورين مهمين هما:

1. الأخلاق: وبالتالي الجانب الروحي أو المعنوي.

¹المرجع السابق، ص813.

²ينظر: أبو نصر محمد الفارابي، رسائل الفارابي، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند 1346هـ- 1928م، ص8.

2. الصنائع: التي يحتوي على الجانب المعنوي ، وكذا على الجانب العضلي
(الحركي ، اليدوي مثلا)¹



وبالتالي برغم من الفارابي يفرق بين الملكة كفطرة والعادة كإكتساب إلا أنه لا يفصل بينهما بل يؤكد على وجود الملكة الاعتيادية وهي التي تتعلق بنوعيتها الخلقية والصناعية لأنها تكتسب بالتكرار.

2. عند عبد القاهر الجرجاني:

كان لهذا العالم فضلا كبيرا في الدفع بالدراسات اللغوية والأدبية إلى الأمام ، حيث مهّد لنشوء علم المعاني الذي هو أحد ركائز الدرس البلاغي ، وذلك من خلال نظريته (النظم) المشهورة ، ولقد جاء في مرحلة دخل فيها الدرس النحوي عند من تأخروا من النّحاة في لعبة المغالاة والتّفريعات والشروح المعقدة ، فخرج بذلك عن الغرض الأصلي لنشوءه فضلا عن فصله كعلم من علوم البلاغة، لذلك حاول الجرجاني عبر نظريته إعادة تلك اللمحة بين هذين العلمين، حيث يقدم الجرجاني الملكة وفق التصور اللغوي أي مدى الانسجام والتناسق في الدلالة المرتبطة بنظم الكلام حيث يقول: "ليس الغرض بنظم الكلام إن توالى ألفاظها في النّطق ، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي افتضاه..." والذي يرتبط بالقصد وغاية من استعمال اللغوي فالملكة بمثابة قصد واستعداد يهدف إليه المتكلم وتفهم الدلالات في إطاره و يقول أيضا: " فلا نقول أنّ الاستعمال اللّغوي

¹فتيحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، دراسة تحليلية نقدية، ص131.

صحيح أو خاطئ لأنه يطابق أو يخالف التركيب النحوي إلا إذا عُرف القصد من ذلك الاستعمال" 1

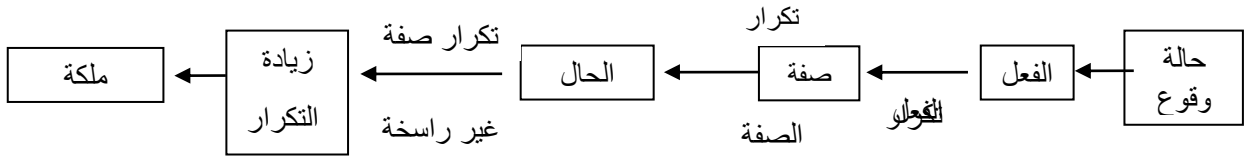
3. عند ابن خلدون:

يبين لنا ابن خلدون أن الملكات أنواع وصفات منها المتعلقة بالنفس وهي في جوهرها الاستعداد الحصول على الأشياء، ولكنه يرى أن من كان لديه ملكات بالفطرة يكون أسهل عليه القبول الملكات الأخرى وبالتالي هو عكس الفارابي يركز على الملكات التي يكتسبها أو يكونها لمختلف الناس على خلاف الملكات الفطرية التي هي مرتبطة ببعض فقط إذ يقول: " إنَّ الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدهم دفعة، ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداد لحصولها" 2. وبالتالي يلعب التكرار دور حاسم في بناء الملكة عن طريق التكرار الفعل ثم تكرار الصفة ثم ترسخ الفعل حسب زيادة التكرار ليصنع الملكة فالمملكة عنده قبل اكتسابها تكون شعورية وبعد ذلك تصبح لا شعورية وهي تختلف عن الطبع منذ بداية غير شعوري لأنه الفطري وبالتالي الملكة المكتسبة، ويرى أيضا ابن خلدون أن الملكة ترسخ بالتكرار في شكل صورة ثابتة فهو على خلاف الفارابي يرى أن الملكة ترتبط بل و تتكون بالتكرار ونستطيع نقول أنها الاستعداد المكتسب بالتكرار الأفعال حيث يقول: "... والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته". ونجد أن ابن خلدون قد قسم الأفعال المكررة إلى ثلاثة أنواع فيأتي التكرار الأول ويسميه صفة متغيرة غير راسخة، ويأتي التكرار الثاني والذي تكرر فيه الصفة ويسميه "حالا"، وهي صفة متغيرة غير راسخة، وفي القسم الأخير تكرير "الحال" فتثبت وتسمى ملكة حيث يقول: " والملكات لا

1 ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، ط02، دار المعارف، بيروت - لبنان، 1978م، ص41.

2 ينظر: ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط02، لجنة البيان العربي، بيروت - لبنان، 1968م، ص721.

تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر، فتكون حالاً ، ومعنى الحال أنها صفة راسخة، ثم يزيد التكرار، فتكون ملكة " وهنا نجد مفهوم الملكة عند ابن خلدون على النحو التالي ومن خلال المراحل التالية: 1:



كما نجد أن ابن خلدون يفرق بين الملكة والطبع حيث يرى أن الملكة قبل اكتسابها تكون شعورية يشعر بها الإنسان، ولما يكتسبها تصبح لاشعورية ، والطبع منذ بداية فإنه غير شعوري لأنه فطري موجود مع الإنسان منذ ولادته وضرب مثل ابن خلدون حول تحدث العرب بالعربية الفصحى التي يرى أنها ليست طبعاً جاهزاً بل يجب تعلمها أو ممارسة كما يؤكد بعضها حيث يقول: "... يظن كثير ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم أمر طبيعي ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام، تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع"²

ومنه نستنتج إلى أهم نقاط توصل إليها ابن خلدون:

1- الملكة صفة راسخة.

2- تمكن الملكة الإنسان بالقيام بالأعمال العائد إليها نحو الخياطة والحياسة

والتعليم والحدادة، واكتساب اللغة.

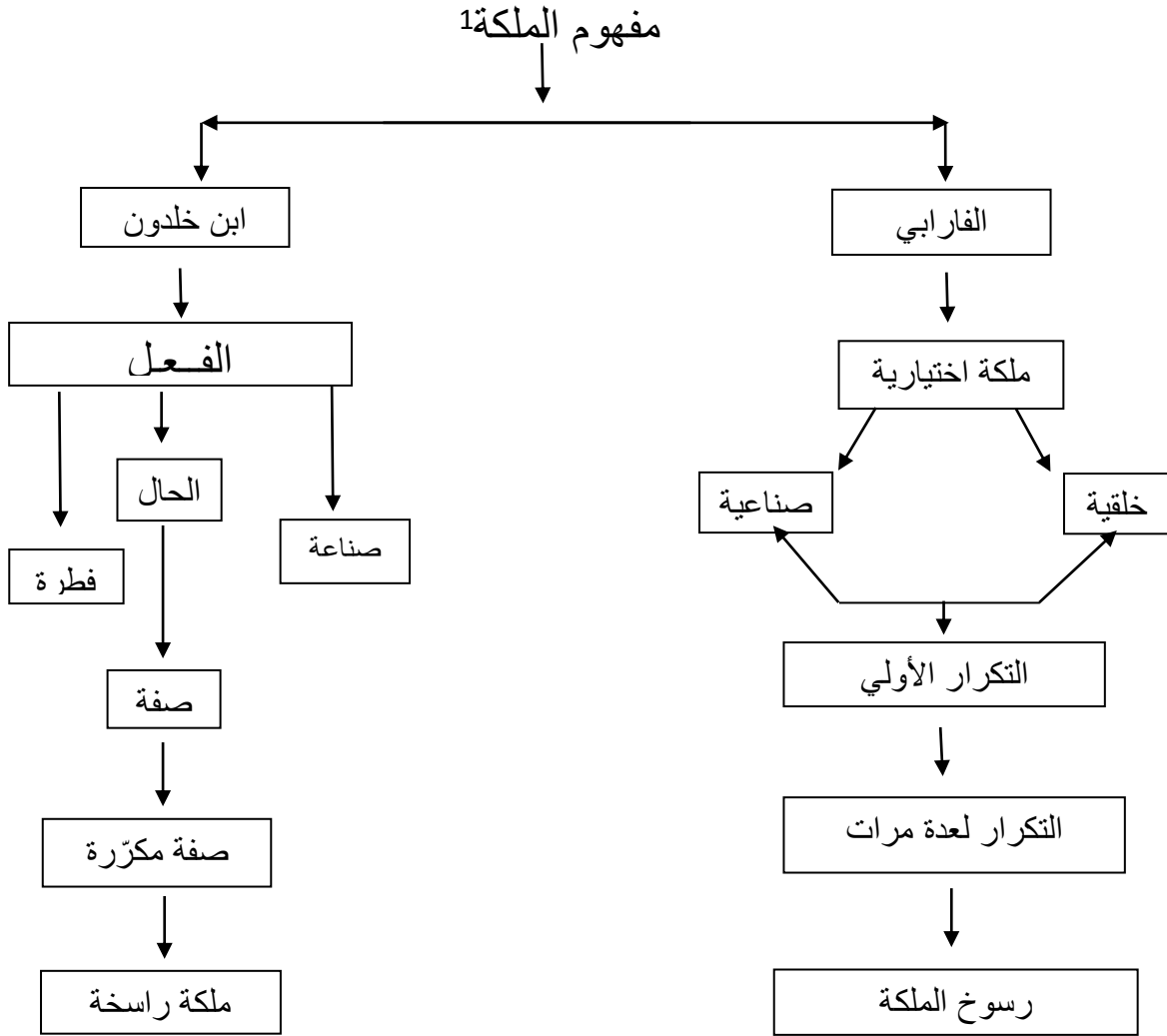
1 - 1 فتحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية ،دراسة تحليلية نقدية، ص134.

²ابن خلدون، المقدمة، ص1085.

3-تمكن الملكة الإنسان وتسمح له بإتقان ومعرفة مبادئ الشيء وقواعده

عن طريق التكرار والممارسة¹.

¹المرجع نفسه، 134.



¹فتيحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، دراسة تحليلية نقدية، ص136.

المبحث الثاني: مفهوم الملكة اللغوية عند علماء العرب

القدامى

1. عند سيبويه:

إن مفهوم امتلاك اللغة كما ينقله لنا سيبويه – الذي وضع لنا علم النحو بمعونة أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي- عن طريق مؤلفه "الكتاب" ، مفاده أنّ القصد من قواعد النحو ليس سلامة إعراب الكلمات أثناء تأدية الكلام ، أو بالأخص سلامة مفردات التراكيب من اللحن وكفى ، إنّما وجدناه يتعدى ذلك بالإشارة إلى ذلك الجانب الهام الذي يجعل من تلك التراكيب التي نصغها ذات معنى وتؤدي مقصدها في إفادة وإفهام القارئ وهو الجانب الدلالي ، فيذكر لنا في باب من كتابه(هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة) قائلاً: " فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب فأما المستقيم الحسن فقولك آتيتك أمس وسأتيك غداً ، وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره ن فنقول آتيتك غدا وسأتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب لقولك: حملتُ الجبل وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت وكى زيدا يأتيتك وأشياء هذا ، وأما المحال الكذب - فإن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس " 1 وهذا ما يعني أن تأدية التراكيب المؤلفة للكلام منطوق كان أم مكتوبا ، خاضعة إلى جانب سلامة مفرداتها للعلاقات المنطقية والدلالية لذلك أفرد سيبويه هذه الأقسام ليبيّن مواضع الخطأ ومعايير الاستقامة ، التي لا تتأتي بالشكل فقط وبمعزل عن الدلالة ودليل على ذلك ؛ هو ما يذكر عن العربية في أيام سيبويه ، أنّها لم تكن مقتصرة على النحو فقط دون العلوم الأخرى ، بل كانت شاملة لكل ما يؤدي إلى سلامة اللغة في ألفاظها من حركة وبناء ، وفي تراكيب من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ،

1 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ط1 مطبعة بولاق، مصر: 1317هـ ، ص08.

وكذا في معرفة حقائقها وأسلوب الكلام على سمتها ، فكان في الكتاب ، نحو
وصرف ، وبلاغة¹.

2. عند ابن خلدون:

يتحدث ابن خلدون عن الملكة اللغوية وطرق الحصول عليها معتمداً
على أن اللغات مختلفة شبيهة بالصناعة لأنها استعدادات في لسان للتعبير عن
المعاني تكون جودتها أو قصورها بحسب تمام الملكة أو نقائصها فإذا كانت
الملكة التامة لا بد أن ترتبط بالتركيب وليس بالمفردات التي تؤدي دورها في
تبليغ المتكلم والسامع في إطار البلاغة حيث يقول: "...اعلم أن اللغات كلها شبيهة
بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها
بحسب تمام الملكة أو نقائصها ، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما هو
بالنظر إلى التركيب ، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب ألفاظ المفردة للتعبير
بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى
الخال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى
البلاغة...".² فابن خلدون في تأسيسه لمفهوم الملكة اللغوية ينطق من حديثه عن:

1- فرضية أساسها أن كل اللغات شبيهة بالصناعة.

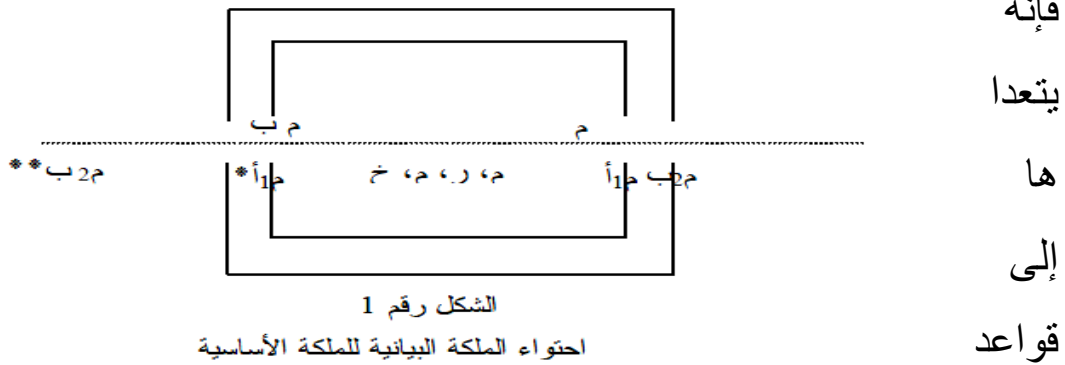
2- التحليل والبرهنة على هذه الفرضية اعتماداً على فكرة أن اللغات
الشبيهة بالصناعة هي قدرات في اللسان للدلالة على المعاني ذات جودة، أو ذات
قصور.

كما يرى أنه هناك تلازم بين تمام الملكة وسلامتها مع جودة المعاني، ودليل
ذلك حسب رأيه كلما كانت الملكة في الدلالة اللفظية محكمة عند الإنسان يرتفع
الحدب بينه وبين المعنى إذ يقول: "...فإذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية...

¹ عبد الإله نبهان ، ابن يعيش النحوي – دراسة- ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 1997م ، ص 67.

² ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 1071.

وفي الأخير نصل إلى أن الملكة الأساسية محتواة دائما في الملكة البيانية
بمعنى أن البياني إضافة إلى تجسيده للقواعد الأساسية المشكلة للملكة الأساسية



لغوية أخرى تحتكم إلى الأساليب البيانية الراقية وفق للشكل التالي:1

يربط ابن خلدون بين الملكة والتكرار عندما يتحدث عن المتكلم العربي
مبينا أنه كان يسمع الكلام أهله و أساليبهم وتعبيرهم عن مقاصدهم ثم يسمع
التراكيب ويلقنهما(المفردات والتراكيب) ويستعملهما في مناسبات مختلفة بشكل
مكرر إلا أن تتكون لديه الملكة وهي لا تختلف عن تعلم العجم والأطفال للغات
عن طريق التقليد والسماع والتكرار ثم الترسخ كالاستعداد المكتسب إذ يقول: "
...فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام
أهل جيله وأساليبهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال
المفردات في معانيه فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها، فيلقنها كذلك ثم لا يزال
سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير

1فتيحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، دراسة تحليلية نقدية، ص144.

ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال " 1

3. عند ابن جني:

نكتشف مفهوم الملكة اللغوية عند ابن جني- كلغوي عربي قديم بحث في أصول المعرفة اللغوية العربية- من خلال تعريفه للنحو العربي- كأصل من أصول هذه المعرفة اللغوية – في قوله " هو انتحاء سمة كلام العرب " ²والمقصود من هذا قول هو إتباع طريقة كلام العرب،لتحصيل الملكة اللغوية بداية،وهو بذلك يعرض لمسألة القياس والسماع في تحصيل الملكة اللغوية، وعلى هذا الأساس فكما للسماع دور فكذلك للقياس دور مهم في تحصيل واكتساب اللغة أو الملكة اللغوية حيث يقول: " ... ومعاذ الله أن ندعي أن جمع اللغة تستدرك بالأدلة قياسا، لكن ما أمكن ذلك قلنا به ونبهننا عليه ممن نحن له متبعون وعلى مثله وأوضاعه حاذون.. "ونجد هنا أن ابن جني طرح مسألتين عن طريقيهما يتم الاكتساب اللغوي " 3.

ونرى أن ابن جني يعتبر المسموع أساس القياس والمعرفة بشروط وردها في كتابه "الخصائص": " ذكر الشروط للخبر الصادق... " ونجد ذلك في قوله " ...فليت شعري هل قالوا هذا ليعرف وحده، أو ليعرف هو ويقاس عليه غيره... إن كان الماضي على فعل المضارع منه على يَفْعَلُ...كأن يسمع ضوئ ولا يسمع مضارعه فإنه يقول فيه يَضْوُل وإن لم يسمع ذلك ، ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه ، لأنه لو كان محتاجا إلى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وتقبلوها، وعمل بها المتأخرون معنى يفاد، ولا

¹ينظر: ابن خلدون المقدمة، ص1071-1072.

²ينظر: ابن جني خصائص، ج1، ص34.

³المرجع نفسه، الخصائص، ج1، ص43.

غرض ينتحيه الاعتماد وكان القوم قد جاؤوا بجميع المواضي والمضارعات وأسماء الفاعلين.. " ويؤكد أيضا أن سقوط أحد هذه شروط سيؤدي بالضرورة القصوى إلى اختلال الملكة واضطرابها وعدم حصول الملكة اللغوية.¹ ونجد أن ابن جني يشير إلى أهمية التراكيب في التأسيس للملكة اللغوية رغم صعوبتها ويتجلى ذلك في قوله: " ... لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجده على ضربين: أحدهما ما لا بد من تقبله كهيئته لا بوصية فيه، ولا تنبيه عليه نحو جحر ودار وما تقدم" ويجعل ذلك مبنيا على مبدأين : السماع والقياس كما تقدّم.²

¹المرجع نفسه، الخصائص، ج1، ص41.

²المرجع نفسه، الخصائص، ج2، ص42.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة اللغوية عند العلماء

العرب المحديثين

1. عند عبد الرحمن الحاج صالح:

يبين لنا الحاج صالح مفهومه للملكة اللغوية انطلاقاً من رأيين هما أن

• الملكة لا شعورية.

• الملكة مكتسبة قياسية.

حيث يربط مفهوم الملكة اللغوية بذلك الجانب الباطني اللاشعوري لدى متكلم والمكون لنظم لغته فيشرح ذلك بقوله: "...ذلك النظام الذي اكتسبه المتكلمون على شكل مثل وحدود إجرائية، وهم لا يشعرون شعورا واضحا بوجودها وكيفية ضبطها لسلوكهم اللغوي إلا إذا تأملوها، وإن كان هذا التأمل لا يفيدهم شيئا إذ هو مجرد استبطان وإحكامهم للعمليات التي تتبني على تلك المثل هو الذي يسمى بالملكة اللغوية...".¹

وما يتضح من خلال هذا التعريف هو أن الملكة اللغوية مكتسبة ويمكن قياسها بطريقة لاشعورية وكما وضح باحث في هذا القول أنه عندما يتكلم صاحب اللغة يشعر بتلك العمليات الباطنية التي سماها عبد الرحمن الحاج صالح بالحدود الإجرائية والعمليات الناتجة عنها بطريقة من طرق اكتساب اللغة وهي "كلام" والتي يكون لا شعورياً أي أنه ينتجها في حال ما إذا قصدتها بالتأمل ، كما نلاحظ أنه يصف القدرة اللغوية بالفعل المحكم الذي يعني به تلك العمليات الخفية الباطنية التي تحول أغراض المتكلم إلى سياق منتظم سواء لمبلغ تلك الألفاظ أو

¹ينظر: الحاج الصالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث،مجلة اللسانية، العدد الرابع، ص40

المخاطب الذي يتلقى هذه الألفاظ ويترجمها إلى معاني مقصودة ، وذلك أثناء إنجاز كلام دون إحساس مسبق.

ومن هذا القول نجد أنّ الحاج صالح أسس مفهوم الملكة اللغوية من الجانب اللساني المحدث الذي تطرأ لاكتساب اللغة.

من خلال تعريفه للغة اللسان على أنه نظام محدد من أدلة مختلفة وتكون لفئتين مميزتين هما:

- الأفراد العاديون أصحاب الملكة التامة.
- الأفراد "الناس" المختصون " الألساني مثلا"، أصحاب الملكة اللغوية الناقصة.

حيث يرى الحاج صالح في حالة الأولى أن الملكة اللغوية تكون في هيئة عفوية أي مكتسبة بالفطرة خاضعة لفعل متكلم، أي شخص متكلم كمتكلم ومخاطب كمخاطب ومعنى ذلك أن الملكة اللغوية راجعة للإنسان الذي اكتسبها، الذي ينشأ متمكنا من اللغة المحيطة به.

أما في الحالة الثانية فتكون الملكة اللغوية في هيئة نظرية حيث ينظر إليها كموضوع للدرس والبحث في أسرارها وقضاياها مختلفة، وتكون خاضعة للقوة لا للصنعة، والذي يقوم بهذا الدور هو اللساني الذي تكون معرفته للسان معرفة علمية، حيث يبحث آليات وأسرار ملكة دون أن يتبعها بتمثيل فعلي على مستوى تطبيق. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الحاج صالح يرفض النظرية البنوية الآلية في اكتساب اللغة التي يرى أن اللغة عبارة عن جمل

جاهزة ومتكررة وبشكل آلي والتي تجاهلت الواقع العلمي والظواهر التي منحت قدرة للإنسان على التكلم وأيضا لا ننسى أن النظام اللساني لا يمكن معرفة أسرارها بالوصف فقط، حيث يقول: " ... إلا أن هذه النظريات التي أطلق

عليها أصحابها اسم البنيوية "structuralisme" لاهتمامها بالبنى اللغوية في زعم أصحابها كانت قد تناست أو تجاهلت جانبا مهماً من الدراسة وهو الظواهر المتعلقة بالقدرة التي منحت للإنسان على الكلام للدلالة على أي غرض كان وبالتالي على كيفية تحقيقه للعبارات المختلفة اللامتناهية بالمتناهي من الوحدات ن كما تناست من ثم أن النظام الباطني للسان لا يمكن أن تعرف أسرارها بعملية وصفية مجردو فقط ..¹

2. عبد القادر الفاسي الفهري:

يشرح لنا عبد القادر الفاسي الفهري تصوّره لمفهوم الملكة اللغوية انطلاقاً من ربطها بذلك المخزون الذي يمتلكه المتكلّم في ذهنه ، ولا يشعر به وهذا عند تكلمه عن المتكلّم الذي يتكلّم بلغته الطبيعية قائلاً: " كلّ متكلّم للغة طبيعية قد قرّر قراره على مخزون ذاكريّ غير واع ، يُجلي معرفته لتلك اللغة وملكته فيها ، وهذا المخزون عبارة عن معجم ذهني يمثّل الثروة المفرداتية المخزونة وجهاز قواعديّ نشيط يرسم أسس تأليف هذه الأبجدية "² وهنا نجد أنه يلمح إلى ذلك المصدر الذي يجمع ثروة المتكلّم اللغوية ، والمسؤول عن امتلاكه لتلك الملكة اللغوية بالتعلّم ، والقصد هنا تعلّم لغة أخرى وإضافتها إلى رصيده اللغوي الطبيعي حتى يصبح يمتلك تلك الآليات اللغوية والأدوات الخاصة بتلك اللغة، وقد عبّر عنها بقوله: «وكلّ متعلّم للغة يتزوّد عادة بأدوات لغوية صناعية ضمّنها قاموس يُعيّنه على تمثّل معاني المفردات وصيغها وأصواتها وكذلك قواعد نحوية وصرفية تعيّد إلى ذهنه طريق تأليف الوحدات المعجمية "³ فالمتعلّم هنا على حد التعبير الفهري يتوسّل لفي امتلاك تلك اللغة الوسائل التي تعينه على

¹ المرجع نفسه، ص20.

² عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، ط1، دار توبقال للنشر،

المغرب، 2000م، ج1، ص06.

³ - المرجع نفسه، ص06.

تحصيلها كالقواميس التي تحوي المادة الإفرادية الخاصة به فحينها يتمكن من تمثيلها ما يريد تبليغه بها.

3. عند تمام حسان:

بدأ تمام حسان في التعرف على الملكة اللسانية بالحديث عن شيئين ضروريين الذي حصرهما تصورهما في الاكتساب اللغوي هما:

أ- الاستعمال اللغوي: الذي تكون فيه الوظيفة الأساسية للمتكلم، حيث يقول: " ... فالاستعمال اللغوي وظيفية المتكلم "1 التي تربطه بالعرف الذي بدوره هو عامل الأساسي لتحديد معايير هذا الاستعمال حيث يقول: " إذ كان العرف هو الذي يحدد المقاييس الاجتماعية في كل أولئك فالصحيح أن العرف هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللغة "2.

وهذا ما يدفعني للقول بأم تمام حسان لا يذكر دور المتحدث في تحقيق الجانب الأساسي للغة، أي جانب التماثل، لكنه يركز بوضوح على دور جامعة كمؤسسة في تعزيز اللغة في المجتمع من خلال جميع الأجيال اللاحقة من هذا المجتمع بالذات، حيث يؤكد هذا قائلا: " وليست اللغة رباطا بين أبناء المجتمع في جيل بعينه فحسب ، بل هي كذلك رباط من الأجيال المتعاقبة من المجتمع الواحد ، إذ هي الأداة الاستمرار الشعبي عبر القرون "3.

¹ ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، دار البيضاء، 1980م، ص4.
² المرجع نفسه، ص11.
³ المرجع نفسه، ص9.

البحث اللغوي:

هو ما يربطه العالم تمام حسان مباشرة بالباحثين، مما يجعل هذا العمل مهما جدا بالنسبة له، حيث يقول: " والبحث اللغوي وظيفة الباحث " ¹ لأن استخدام المرتبط مباشرة بالمتحدث هو تطبيق أسس محددة لا تظهر في هذا متحدث بشكل واضح وصريح، أما البحث هو دراسة هذه الأسس من قبل الباحثين فضلا عن استعداد المتكلم لإجراء ذلك.

وفقا لرأي تمام حسان فإن المتحدث هو مالك اللغة، وهذه الأخيرة محاطة بأسوار خاصة تتضمن العادات والقوانين العرفية المتفق عليها، ويشرح لنا العلاقة بين المتكلم والملكة اللغوية من خلال تواصله مع مجتمعه كفرد منه إذ تمثل اللغة على حد تعبيره: " الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، ولولا اللغة لظل الفرد حبيس العزلة الاجتماعية.. فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه يستعمل أصواتها، وصيغها، ومفرداتها، وتراكيبها حسب أصول استعمالية معينة يحذقها بالمشاركة في التخاطب ويمرّن عليها، ويطباقها دون تفكير في جملتها أو تفصيلها " ² وهكذا فإن هذا التوجه الذي تبناه تمام حسان يشبه في نهجه التوجه الذي دعت إليه نظرية الجرجاني التي تدعو إلى ضرورة إبلاء الاهتمام للسياق اللغوي من أجل فهم القصد من وراء الرسالة.

¹المرجع نفسه، ص4.

²ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، 17.

المبحث الرابع: الملكة اللغوية عند علماء الغرب المحدثين

1. عند دي سوسير:

يعد " دي سوسير " *Ferdinand de Saussure* كما هو معروف في عرف الدراسات اللسانية، المؤسس الأول للنظرية اللغوية القائمة على دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية موضوعية ، تدرس في ذاتها ولذاتها بمعزل عن أي مقصد أو غرض خارجي، ولقد لخص لنا نظريته هذه من خلال إخضاعها لما يسمى بالمتقابلات بين المفاهيم أو ما يسمى بثنائية اللغة ، وهذا التقابلات التي توضح وجهة نظره للملكة اللغوية لدى المتكلم : هو أنه ربط استعمال اللغة بالمؤسسة الاجتماعية ، كشرط من شروط امتلاك الفرد لهذه الملكة¹، ذلك أن اللغة في نظره ظاهرة اجتماعية كذلك الملكة عندما ربطها باللغة.

فالمملكة عنده هي القدرة الموجودة لدى كل إنسان التي تؤهله لاستعمال اللغة وتسمى هذه القدرة حسب رأيه: ملكة الكلام المقطع، أي القدرة أو الاستعداد الذي يؤهل الفرد لاستعمل اللغة، بحيث يقول: "يوجد كل فرد ملكة يمكن أن نطلق عليها اسم ملكة الكلام المقطع.... وتقوم هذه الملكة على أعضاء ثم ما يمكن أن نحصل عليه من عملها لكنها لا تعدو أن تكون ملكة وتتعدر ممارستها استعمالها بصورة ملموسة إلا متى توفر للمرء أمر آخر من الخارج هو اللغة"²، حيث نلاحظ من خلال قوله أنه ربط الملكة اللسانية باللسان البشري ويؤكد أن استعمال

¹ -عبد القادر المهيري، ومحمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللسانية، نقلا عن دي سوسير، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986م، ص26
² -المرجع نفسه، ص26.

اللغة رهين بوجود هذه الملكة وجودة سلامتها أثناء النطق بها وما انفراد الإنسان إلا لانفراده بهذه الملكة.

كما نرى أنه يربط اللغة والمجتمع مؤكداً على وجود الملكة اللغوية لا يتأتى ولا يكون إلا مع الجماعة ويؤكد ذلك بقوله: " اللغة في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواصفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة.

وما يتضح لنا من خلال قوله أن الملكة كنظام يظهر على مستوى المجتمع أي لا تظهر إلا في ظل الجماعة كون اللغة ظاهرة اجتماعية تحقق التواصل مع الطرف الآخر وإن غاب هذا الاتصال لا يمكن لهذه الملكة أن تكتمل.

فسوسير نجده يؤكد على ربط الملكة اللغوية بالجماعة وخاصة من خلال تحدثه عن اللغة بحيث يقول على لسان: T.De Mouro.

إنه رصيد موجود من خلال استعمال الكلام في مسائل " مواضيع " تنتمي إلى نفس الجماعة، وإنه نظام نحوي كائن ويشكل مقدر على مستوى كل دماغ، بل في كل الأدمغة لجماعة من الأفراد، لأن اللغة غير كاملة في أي دماغ، أي لا توجد إلا في ظل الجماعة.¹

وفي الأخير نستنتج أن دي سوسير قد ربط مفهوم الملكة اللغوية بالجماعة بدل الفرد من خلال تقريره أن اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان أي أن الملكة لا تظهر إلا على مستوى الجماعة.

¹الملكة اللغوية؛ مقارنة لسانية بين تشومسكي وأعلام الفكر اللغوي العربي القديم، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 11 عدد: 2 السنة 2022م، ص 584-587.

2. عند تشومسكي:

تمثل الملكة اللغوية جوهر النظرية التوليدية التحويلية وموضوعها الرئيس، فقد خالف بها "تشومسكي" Avram Noam Chomsky "مبادئ السلوكية التي اعتبرت الإنسان آلة تخضع نشاطه اللغوي إلى قانون ميكانيكي فيزيائي واحد وثابت هو (مثير واستجابة).

وفي مقابل ذلك ذهب تشومسكي إلى أنّ الإنسان يملك قدرة لغوية عاقلة ابتكارية، تجعل استعماله اللغويّ متجددا باستمرار ومتحررا من كل المثيرات، خارجية كانت أم داخلية، كما تمكنه من استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير ذاتيين¹.

وهذا يعني أن تشومسكي يقر بأن العقل البشري هو مصدر الطاقة الإبداعية عند الإنسان، وهو خاصية مشتركة بين بني البشر، ينمو ويتطور بنموه الفيزيولوجي والسيكولوجي¹

إذا فالعقل هو المسؤول عن تفسير وتحليل ظاهرة الإبداع اللغوي عند الإنسان. وهو ما جعل تشومسكي يؤمن بأن بنية اللغة تحدد بنية العقل الإنساني، وأن خصائص اللغة الكلية تمثل قاسما مشتركا بين الجنس الإنساني، وأن الدراسة المعرفة اللغوية، التي هي خاصية إنسانية مميزة وجزء لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية بصورة عامة، صار أمرا حتميا لتقديم نظرة واضحة عن بنية اللغة ومميزا ومميزاتها الإنسانية واكتسابها وعلاقتها بالفكر الإنساني،² وفي هذا الصدد بيّن تشومسكي أن نظريته قد حولت مركز الاهتمام من السلوك الفعلي إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة. وبصورة أدق حولت مركز اهتمامها إلى دراسة الموهبة الفطرية المسؤولة عن هذه المعرفة، فكان التحول في

¹المرجع نفسه، نص584.

²المرجع نفسه، ص585.

وتعني استعمال اللغة استعمالاً تجديدياً، إنّها تمثل القدرة التي يمتلكها المتكلم، والتي تمكنه من إنتاج عدد غير محدود من جمل اللغة، انطلاقاً من عدد محدود من القواعد المخزّنة في ذهن المتكلم تخزينا فطرياً¹

ب- القدرة الفطرية:

وهي التي سماها تشومسكي بالكليات اللغوية أو الملكة الفطرية، وهي قواعد عامة تجمع بين اللغات رغم تنوعها واختلافها، ومهمة اللساني هي اكتشاف هذه الكليات ووصفها².

ج- الحدس اللغوية:

تسمى مقدرة المتكلم على التمييز بين الجملة الصحيحة والجملة المنحرفة بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة. وهو جزء من كفاية الإنسان اللغوية أي جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة، فوظيفة الكفاية اللغوية ليست إنتاج الجمل وحسب، بل الحكم على أصوليتها من عدمها³.

د- الأداء اللغوي:

هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفيه يعود المتكلم بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلم. ومن مميزاته أنه يتفق أو يختلف وقواعد اللغة التي تمثل الكفاية اللغوية تبعاً لظروف المتكلم الذي هو عرضة لمؤثرات خارجة عن اللغة كالنسيان والانفعال والتكرار⁴.

1 - المرجع السابق، ص 585.

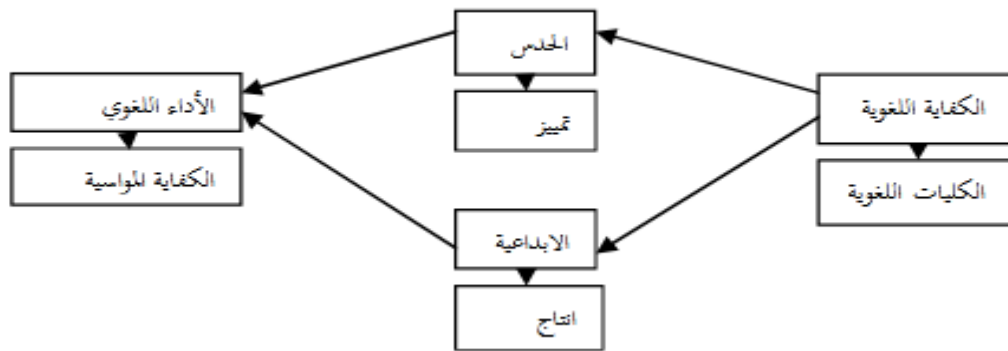
2 المرجع السابق، ص 585.

3 المرجع السابق، ص 585.

4 المرجع السابق، ص 586.

وعليه فإن الكفاية اللغوية تعني المعرفة الضمنية للغة، والأداء اللغوي هو الإنجاز الفعلي لهذه المعرفة، أي أن الكفاية اللغوية هي التي تقود استراتيجيات الأداء الكلامي وتوجهه، ومن ثم فإن المشكلة التي تعترض الباحث اللغوي، هي قدرته على تحديد تنظيم القواعد الضمنية الذي اكتسبه الإنسان منذ طفولته، والذي يستعمله في أدائه الفعلي، من خلال معطيات الأداء الكلامي.¹ وفي هذا المقام يقول تشومسكي: " إن من يتكلم لغة معينة يدري على العموم كيف يستعملها للوصول إلى أهداف معينة، لذا نستطيع القول أن هذا الإنسان قد اكتسب تنظيم كفاية مراسية تلاءم مع كفايته اللغوية التي تختص بالقواعد ² .

وبناء على ما سبق، يمكن توضيح العلاقة القائمة بين العناصر السابقة على النحو الآتي:



وفي هذا المقام نطرح السؤال: هل الملكة اللغوية تتكون من الكليات اللغوية فقط؟ والجواب: طبعاً لا، لأن الكليات اللغوية سمة عامة بين اللغات، ولو كان الأمر كذلك لكان العالم كله يستعمل لغة واحدة مشتركة. إذن مما تتألف الملكة اللغوية؟

يرى تشومسكي أن الملكة اللغوية هي وحدة من وحدات العقل الإنساني، "وطبيعية

¹ المرجع السابق، ص 586.

² - المرجع السابق، ص 586.

هذه الملكة هي مادة بين ما يمكن تحقيقه من مادة بحث النظرية العامة للبنية اللغوية التي تهدف إلى اكتشاف العناصر المشتركة بين ما يمكن تحقيقه من اللغات الإنسانية، وغالبا ما تسمى هذه النظرية اليوم بـ(النحو الكلي) الذي يمكن أن ينظر إليه على أنه تحديد لسمات ملكة اللغة المحددة جينيا. كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على تحديد لسمات ملكة اللغة المحددة جينيا. كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على أنها أداة اكتساب اللغة أي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني، يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة. فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من المعرفة أي إلى معرفة لغة أو أخرى".¹ نفهم من هذا أن الملكة اللغوية تقوم على مكون أساسي عام هو (النحو الكلي)، وهذا الأخير هو المسؤول عن تكوين المعرفة اللغوية لدى المتكلم على النحو الآتي:

- الملكة اللغوية — النحو الكلي + النحو الخاص.
- النحو الكلي الكليات اللغوية (الكفاية الفطرية)
- الكليات اللغوية — قواعد العامة (قاعدة الزيادة، الحذف، التقديم...)
- النحو الخاص — قواعد الخاصة للغة الأم (كفاية مكتسبة)
- قواعد الخاصة — (قاعدة الفاعل، الفعل، المفعول به...)

إذا فالقواعد العامة تهتم بمبادئ اللغة الثابتة والدائمة والقائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أية لغة من اللغات الإنسانية والتي لا تتغير نسبة لتنوع البشر، بينما تهتم القواعد الخاصة بالأنظمة البنائية والمستعملة في لغة معينة². وهذا يعني أن الملكة اللغوية أو الكفاية اللغوية هي نتاج تفاعل الكفاية الفطرية مع الكفاية المكتسبة أي تفاعل القواعد العامة مع القواعد الخاصة حيث تمثل القواعد العامة المبادئ الأولية لهذه الكفاية. ويمكن تلخيص ذلك على النحو الآتي:

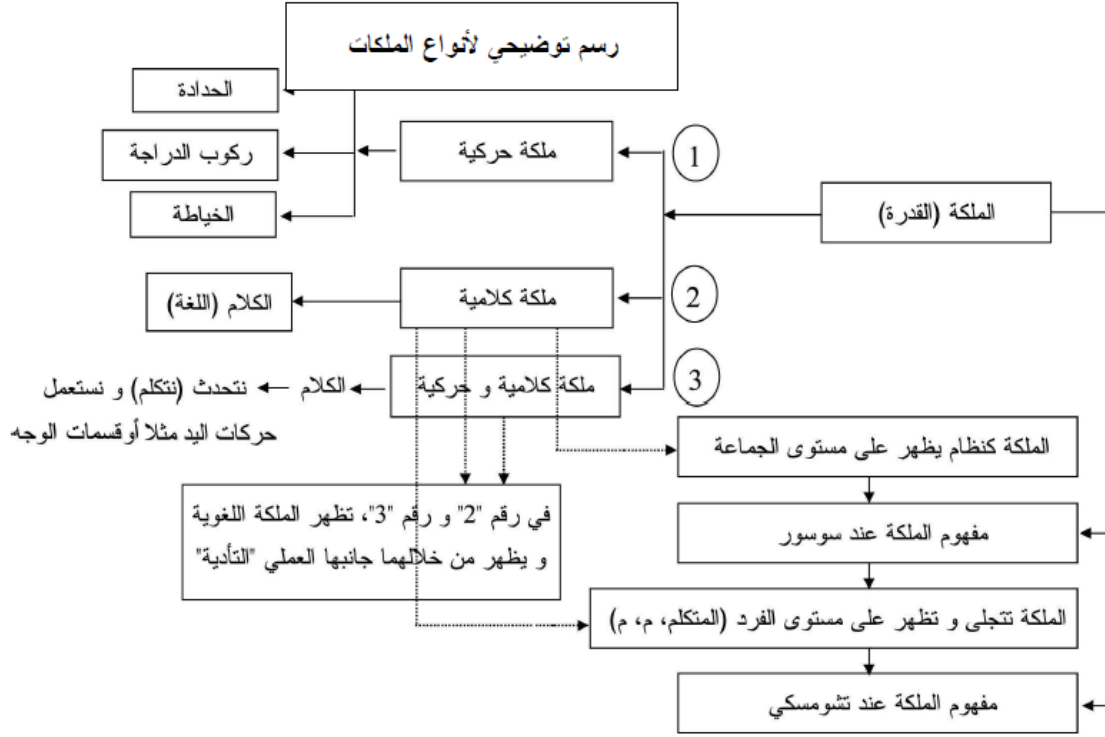
¹المرجع السابق، ص587.

²المرجع السابق، ص587.

تفاعل

الكفاية الفطرية + الكفاية المكتسبة ← الكفاية اللغوية

(القواعد العامة) (القواعد الخاصة) البيئة



الفصل الثالث: الملكة اللسانية وكيفية تحصيلها

المبحث الأول: اكتساب الملكة اللسانية.

المبحث الثاني : طرق اكتساب الملكة اللسانية.

المبحث الثالث: مصادر تحصيل الملكة اللغوية .

المبحث الرابع: العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية

المبحث الأول: اكتساب الملكة اللسانية

عند ابن خلدون:

أثارت مسألة اكتساب اللغة اهتمام ابن خلدون إلى حد انه يعرف اللغة الإنسانية من حيث ملكة مكتسبة" اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد وإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل امة حسب مصطلحاتها".

إن اللغة في نظر ابن خلدون، إذا ملكة مكتسبة واعتبار اللغة ملكة يربطها بالمقدرات الفطرية لدى الإنسان على نحو يجعل البعد اللغوي خاصية إنسانية. يقول ابن خلدون:"ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى خرجت على الفطرة وضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل في هذه الملكة فكان قبولها للملكة الأخرى اضعف والجدير بالذكر أن الملكة اللسانية تترسخ في مكانها في الذهن الإنساني. إن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة"¹.

وعلى هذا النمط من التحليل والاستدلال يتطرق ابن خلدون إلى ظاهرة الاكتساب اللغوي بحس لغوي دقيق وأول ما يتقرر لديه في هذا المضمار أن الاكتساب يتم عن طريق المنشأ الطبيعي وبشكل متدرج،"فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبه في

¹ميشالزكريا، قضايا السنوية التطبيقية، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، ط1 (د ت)، ص109.

مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة وفي كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة راسخة ويكون كأحدهم هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوا عن غيرهم¹.

ويمر اكتساب اللغة بمراحل عديدة وفي ذلك يقول: الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً، وتعود منه لذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة.

و يركز ابن خلدون على الممارسة والتكرار خلال عملية الاكتساب فيقول " : وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار بكلام العرب"، و تترسخ الملكة عبر كثرة الحفظ والاستعمال كما يقول " . فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال وتزداد بكثرتها رسوخاً وقوة"، إلا أن عملية الاكتساب تبقى في نظر ابن خلدون عملية وجدانية ودليل ذلك قوله " وهذا الأمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم" ومثاله " لو فرضنا صبياً من صبيانهم نشأ وتربى في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها " واضح إذا باعتقاد ابن خلدون أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي نشأ فيها فعملية اكتساب اللغة لا يرتبط بأي حال من الأحوال بجنس إنساني معين أو بلغة معينة فالطفل الإنساني بمقدوره إتمام هذه العملية من خلال نموه في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية بحيث يكتسب لغة المجتمع الذي

1- المرجع نفسه، ص 109.

يتعرض فيه لكلام أهله فاكتساب إذا في الأساس ميزة إنسانية عامة ولا يغفل ابن خلدون عن الإشارة إلى أهمية السماع فالسمع أبو الملكات اللسانية¹.

ويعلل ابن خلدون رأيه من حيث أن اللغة عملية اكتساب عند الإنسان لأن الأفعال الاختيارية ليس طبعاً بالإنسان وإنما هي مكتسبة بالممارسة والمران، فخلاصة رأي ابن خلدون في المسألة أن الإنسان بغض النظر عن طبيعة اللغة التي يتكلمها بصورة طبيعية إلا أن ذلك الأمر قد يوهم بعض الناس أنها طبع فطر عليه الإنسان والحال على غير ذلك فهي عملية يتم اكتسابها.

عند السلوكيين:

ينظر علماء النفس السلوكيين إلى اللغة كشكل من أشكال السلوك ويفسرونها في إطار تكوين العادات، وتدخل المدعمات المختلفة بين المثيرات والاستجابات للمثيرات، ومن هذا المنظور لا يقرون بوجود تباين بين مسار تعلمها ومسار تعلم أي مهارة سلوكية أخرى. فالسلوك اللغوي كأى سلوك آخر هو في النهاية نتيجة عملية تدعيم، حيث يدعم المحيط بعض اللعب الكلامي الذي يظهر عند الطفل، وذلك بأن يبتسم الأهل مثلاً للطفل عندما يصدر أصوات الغوية وأن يهملوا بالمقابل الأصوات غير اللغوية التي تصدر عنه.

يحدد السلوكيون اللغة على أنها استجابات لمثيرات يقوم بإصدارها الكائن الحي وتأخذ شكل السلوك الخاضع للملاحظة المباشرة وفي هذا الإطار تستخدم (المثيرات) الكلمات كمثيرات واستجابات لمثيرات أيضاً، وتخضع للتشريط بالاستعانة بالتدعيم فالمثير كما يعرفها السلوكيون هو كل شيء من أشياء البيئة العامة، وكل تغير من تغيرات الأنسجة يرتبط بالوضع الفيزيولوجي للكائن الحي.

¹ المرجع السابق، ص 101.

مثلا التغير الذي ينشأ نتيجة حرمان الحيوان من الطعام أو نتيجة منعه من بناء عشه بشكل مثيرا. 1

ويتمثل المثير في كل حركة قابلة لأن تولد استجابة معينة عند الكائن الحي. أما الاستجابة للمثير فتعرف من حيث أنها كل ما يفعله الكائن الحي كالاقتراب من الضوء، أو الابتعاد عنه، أو كالنشاطات الأكثر تنظيما، مثل وضع الخطط وتحرير الكتب. فالاستجابة أوردة الفعل إذا، هي الحركة التي تنشأ عن المثير .

يرى "وطسن" أن معجم الأصوات اللغوية لدى الطفل أي المعجم اللفظي يتكون في البدء انطلاقا من الأصوات التي تصدر تلقائيا عن الطفل وعن طريق الصدفة إلى حد ما إلا أنه من ثم يخضع للتطوير عبر البيئة الاجتماعية، أي بيئة الأهل بشكل تشريطي وذلك لأن الأهل يسعون لتقريب الأصوات التلقائية من الأصوات اللغوية أو الفونيمات فما إن يقترب الصوت في الواقع من الكلمة حتى يتم ربطها بالشيء أ وبالفعل عبر عملية استبدال الشيء أو الفعل بالصوت أو باللفظة، وتشمل عملية التشريط تنعيم الكلمة وطريقة نطقها.

وعلى هذا النحو، يكتسب الطفل شيئا فشيئا استجابة لفظية تشريطية لكل أشياء محيطه الخارجي فتتولد الاستجابات اللفظية عبر المثير أو الحافز الفيزيائي و تتعزز خلال محاولات الطفل التلفظ بها.

إن الانطباع الذي نخرج به عندما نتأمل عملية اكتساب اللغة عند الطفل هو أن الطفل، لكونه إنسانا، يتوصل في خلال مدة زمنية قصيرة نسبيا إلى اكتساب الكفاية اللغوية. وهذا الانطباع يختلف، بصورة أساسية، عن التفسير الذي غالبا ما

¹المرجع نفسه، ص 27.

كان يعطي والذي يمكن تلخيصه في أن الطفل ينقل لغة بيئته ويحاكيها إلى أن يتوصل إلى الإلمام بها والذي يركز على أن ذهن الطفل هو بمثابة صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة ولا بد لنا هنا من إن نستطرد بعض الشيء، في عرض هذا الاتجاه الذي يظهر بوضوح في النظرية السلوكية¹.

تفترض النظريات السلوكية عامة أنه ينبغي أن نولي الاهتمام بالسلوكيات القابلة للملاحظة والقياس ولا يركزون اهتمامهم على الأبنية اللغوية والمشكلة الأساسية في هذا المنظور هي انه نظرا إلى أن الأنشطة العقلية لا ترى، فإنها لا يمكن أن تعرف وتقاس فيرى السلوكيون أن الطفل يكون سلبيا خلال عملية تعلم اللغة فالطفل يبدأ الحياة بجعبة لغوية خاوية ثم يصبح الطفل مستخدم اللغة في بيئته لذلك يتفق السلوكيون جميعا في أن البيئة هي العامل الحرج والأكثر أهمية في عملية الاكتساب، ويؤكدون على أن الاختلافات التي تحدث بواسطة البيئات الواسعة الاختلاف للأطفال أثناء فترة الاكتساب.

وفي هذا الإطار يتم الطفل اكتساب الفونولوجيا من خلال تحويل الأصوات العفوية التي تصدر عنه إلى الشكل الذي هي عليه أصوات اللغة أي إلى الفونيمات وذلك عن طريق تدعيمها أو تعزيزها باتجاه الأنماط الصوتية عند الكبار فالاستجابات اللفظية تولد عبر المثير أو الحافز الفيزيائي و تتعزز خلال محاولة الطفل التلطف بها ويتلقى الطفل التعزيزات الايجابية فقط في حالة قيامه بالاستجابة الكلامية الصحيحة وتتقدم عملية اكتساب اللغة بقدر ما تتوفر الاستجابات الصحيحة هذه و تتعزز.

لقد آمن السلوكيون بأن اللغة إنما تكتسب كلها بالتعاليم، ومن جهة النظر هذه فإن معظم ما يتعلمه الطفل إنما يأتي من التقليد ومن نمذجة ما يسمع من الكبار.

¹ - المرجع نفسه، ص50.

إن محاكاة الكلام هي بمثابة تشجيع ومكافأة للمنافاة التي يقوم بها الطفل في أول مراحل الاكتساب كما أن التردد المتواصل والممارسة المستمرة لهذه العادات اللفظية ينجم عنها اكتساب الأصوات اللغوية بصورة آلية من خلال هذه العادات اللفظية، تنبثق الكلمات عند الطفل عن طريق التعزيز الذي يقوم به الأهل فالطفل يحاول التحكم بمحيطه بواسطة التلطف بالكلمات. فيسترعي ذلك تجاوب الأهل مع كلمات طفلهم فيوفرون له حاجاته وينفذون رغباته¹.

رواد هذه النظرية يرون أن اللغة عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحاولة والخطأ ويتم تدعيمها عن طريق المكافأة وتنطفيء إذا لم تقدم المكافأة وفي حالة استخدام اللغة فإن المكافأة قد تكون أحد احتمالات عديدة مثل التأييد الاجتماعي أو التقبل من الوالدين الآخرين للطفل، عندما يقدم منطوقات معينة خصوصا في المراحل المبكرة من الارتقاء وقامت هذه المدرسة بتفسير السلوك اللغوي تفسيراً آلياً اعتماداً على مصطلحات المثير والاستجابة.

يتمثل الاتجاه السلوكي بصورة واضحة وجلية في كتاب "سكينر" السلوك الكلامي حيث يؤكد المؤلف أننا لسلوك الكلامي يتعزز بتوسط أفراد البيئة المحيطة بالطفل ويضع بالتالي على عاتق هذه البيئة مسؤولية العمل على جعل الطفل يكتسب لغتها. فالأهل في تصورهم مصدر المعطيات اللغوية التي يحاكيها الطفل وعملية التعزيز التي يقوم بها الأهل برأيه هي العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية².

¹المرجع السابق، ص51.

²المرجع نفسه، ص73.

عند بلومفيلد:

تناول بلو مفيلد عملية اكتساب الطفل للغة وطرح تصورا لها يتفق مع الأسس والملاحم العامة للسلوكية حيث يكتسب الطفل لغته عن طريق تعزيز الاستجابات اللفظية الصحيحة وحدها. فالطفل تحت تأثير مثيرات مختلفة ينطق أصوات شفوية ويردد هذه الأصوات وتؤدي هذه العملية إلى عادة فكلمة قرع صوت مماثل أذنيه حاول إنتاج هذا الصوت ووفق هذه العادة يقلد كلام المحيطين به وبطبيعة الحال يبدأ بنطق مقطع من الأبأة الذي يقترب في الشبه من الكلام الذي يسمعه من المحيطين به، ويستخدم المحيطون بالطفل ولتكن الأم مثلا الكلمات في وجود مثير مناسب، فهي تقول مثلا doll. بمناسبة ظهور العروسة أو الدمية أمام طفلها أو عندما تعطيها له بصورة فعلية، فمنظر العروسة وتناولها وسماع كلمة doll وقولها، تحدث معا بصورة متكررة حتى تشكل عند الطفل عادة تكفي لأن يقول da إذا ما شاهد العروسة أو أحس بها¹.

وما يذهب إليه بلومفيلد في ما يتعلق باكتساب الطفل للغة يشبه ما ذهب إليه علماء نفس آخرون مثل "مورير" الذي يذهب إلى أن الطفل يلذ له أن يسمع نفسه وأن يكرر صوته وعندما تقوم الأم بعناية طفلها فهي تحدث بعض الأصوات حتى ينتبه الطفل لها ثم يربط بينهما وبين حاجاته التي يعني بها ويحاول تقليدها وتتدرج لغة الطفل مجرد الأصوات التي تعد استجابة طبيعية وذلك منذ لحظة الولادة إلى حوالي الشهر الرابع من عمره ثم تأتي مرحلة المنافاة وفيها يستعمل الطفل كل الأصوات التي تعد أساسا صالحا لتعلم أي لغة من اللغات في العالم، وبعض هذه الأصوات تختفي إذا لم تلقى تعزيز يتمثل في تواجدها في المحيطين به، و يمر الطفل بمرحلة إحداث الصوت وترداده كثيرا، وهذا التردد ليس فطريا ولكنه متعلم فالطفل الطبيعي يلذ له سماع نفسه ويلاحظ أن الأطفال الصم لا يسمعون أصواتهم وبالتالي لا يشعرون بتلك اللذة التي تعد تعزيزا لهذا

¹مصطفى كياتوني، المدخل لسلوكية دراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة، حويليات كلية الآداب، جامعة الكويت الحولية العاشرة الرسالة: 1988، 64، ص 27.

السلوك مما يجعلهم يكفون عن إصدار هذه الأصوات، وترتبط هذه الأصوات بحاجاته التي يعنى بها¹. ومن ثمة يسعى إلى تطويرها ويزداد حبه لتكرارها مادامت ترتبط بإشباع حاجاته

¹المرجع نفسه، ص28.

المبحث الثاني: طرق اكتساب الملكة اللسانية

يميز ابن خلدون بين ثلاث طرق من طرائق اكتساب الملكة اللسانية وهي: أولاً الاكتساب من خلال السماع، ثانياً الاكتساب من خلال الممارسة والتكرار وثالثاً الاكتساب من خلال الحفظ.

أولاً: السماع

تبدأ مرحلة النمو عند الطفل بأن يسمع من الكبار حوله كتلا لغوية أو عبارات كاملة، فيلتقطها عبارة عبارة وكتلة كتلة، ويربط بينها وبين ما يترتب عليها من الأحداث حوله، وتبدأ عملية التحليل اللغوي عند الطفل عندما يتكرر سماعه للكلمات المختلفة في جمل متعددة وعبارات شتى، فيقوم عندئذ بعملية اختزان للكلمات ليستخدمها عند الحاجة إليها.¹

وقد أدرك ابن خلدون في سياق حديثه عن الملكة اللسانية وطرق اكتسابها أهمية السماع في ذلك من خلال البيئة اللغوية التي يترعرع فيها الإنسان، والسمع عنده هو المحيط الاجتماعي الذي يتم فيه الاتصال بين الأفراد في جماعات وركز اهتمامه في ذلك على المجتمع العربي وذلك بمخالطة الناطقين بالعربية من أفرادهم وممارسة هذه اللغة بصورة مستمرة.

ويقرر في هذا أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي يسمع كلاهما خلال نموه الطبيعي إذ يقول: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأسالبيه في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمح الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن

¹ رمضان عبدالنواب، لحن العامة والتطور اللغوي، دار زهراء الشرق للنشر، القاهرة، مسرط 2000، 2م، ص 99

كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم¹.

من خلال حديث ابن خلدون السابق نلاحظ مدى تأثير البيئة التي يحيا فيها الطفل في عملية اكتساب اللغة وهي عملية تمر بمراحل خاضعة لمراحل عمرية عنده تبدأ باكتساب المفردات ومن ثم التراكيب والجمل ثانيا وكل ذلك بالاعتماد على السماع، وقد ميز كذلك بين عملية اكتساب اللغة (كمملكة لسانية) وبين عملية (تعلم اللغة) التي تشمل القواعد والقوانين الضابطة لهذه اللغة

والذي يحصل عليه الطفل في المراحل العمرية الأولى من خلال بيئة هو (اكتساب الملكة) خاضع للتقليد الناتج عن السماع، وهذا السماع خصه ابن خلدون باهتمام كبير في مقدمته ولعل ذلك عائد إلى أثره الواضع في عملية اكتساب الملكة اللسانية بشكل عام، "فالسَّمْعُ أبو الملكات اللسانية"².

وعملية اكتساب اللغة اعتمادا على السمع لا تخضع في نظر ابن خلدون لعوامل الوراثة أو ما شابهها، وإنما هي عملية خاضعة لظروف البيئة اللغوية التي يحيا فيها الطفل، فالطفل بإمكانه تعلم أي لغة يسمعها أو يستعملها بالمعايشة اليومية ويؤكد "تشومسكي" Avram Noam Chomsky "هذه النظرة الخلدونية بقوله: "إن الطريقة التي يتعلم بها الأطفال لغتهم الوطنية وكل القرائن تدل على أن الأطفال يولدون وليس لديهم استعداد لتعلو لغة دون الأخرى، ولذلك يمكن أن نفترض أن جميع الأطفال لديهم قدرة على تعلم اللغات مطلقا دون لغة

¹ ابن خلدون، مقدمة، ص 632-633.

² المصدر نفسه، ص 624.

بعينها فإذا ما درج هؤلاء الأطفال في ظروف طبيعية أصبحوا من أبناء اللغة التي يسمعونها في المجتمع الذي ولد فيه"¹.

لم يقتصر ابن خلدون في حديثه عن اكتساب الملكة اللسانية من خلال سماع لغة البيئة على الطفل فقط، وإنما هي عملية تشمل الصغار والكبار والمقصود من الكبار عنده أوليائك الذين يضطرون للعيش في بيئة لا يتكلم أهلها لغتهم والمقصود بذلك بشكل خاص (العجم) الذين دخلوا الإسلام بعد انتشاره في مناطق واسعة فوجد الكثير منهم أنفسهم مضطرين للعيش في بيئة جديدة يتكلم أهلها لغة مغايرة للغتهم حيث يقول: "هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال، وهذا ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أفدت عنهم ولم يأخذوا عن غيرهم"².

وهكذا بين ابن خلدون أن العجم يكتسبون الملكة من خلال تعرض متواصل للكلام الذي يسمعونه من حولهم فيسعون إلى إتقان هذه الملكة إلى أن تصير صفة فيهم.

وعندما نتدبر آيات القرآن العظيم نرى أن الله عز وجل يركز على طاقة السمع ويجعلها الأولى بين قوى الإدراك والفهم التي أودعها الله تعالى في الإنسان قال سبحانه تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"³.

وقال أيضاً: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً"⁴.

¹جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط1985، 1م، ص247.

²ابن خلدون، مقدمة، ص363.

³سورة النحل، الآية 87

⁴سورة الإسراء، الآية 36.

و كما قال الله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"¹.

إذا تأملنا كلام الله عز وجل نجده يقدم طاقة السمع على البصر في أكثر من سبع وعشرين موقعا، وهو ما يبين أنها أدق وأرهف وأرقى من طاقة البصر، فالأم مثلا تستطيع أن تميز صوت بكاء طفلها من بين زحام هائل من آلاف الأصوات المتداخلة.

إن الاستماع عامل هام في عملية الاتصال إذ هو الحاسة الحساسة التي تؤثر في اللسان، إذ سرعان ما تؤثر في الألسنة المختلفة فتزواج اللغات ويتداخل بعضها في بعض، فالسمع عند الأعرابي القديم أساس تكوين سليقته اللغوية إلى جانب تمرسه بكلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم في مقامات مختلفة

فالمملكة اللغوية الصحيحة تتكون بالاستماع إلى اللغة الصحيحة وتكرار هذا السماع إلى أن نتمكن من نفس صاحبها ويصبح واحدا منهم يتحدث بها دون مشقة ولا جهد.

ثانيا :الممارسة والتكرار

يقول ابن خلدون: "وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة (الكلام) وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"².

إن التعليم الصحيح والسليم الناجح للغة يكون بالممارسة، أي الفعل وتكراره وقد أكد ابن خلدون في مقدمته أهمية التكرار، واعتياد استعمال كلام العرب في اكتساب الملكة اللسانية فقال: "إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار للكلام"³. كما يوضح أن الملكة: "إنما تحصل بممارسة كلام

¹سورة النساء، الآية 58.

²ابن خلدون المقدمة، ص641.

³المصدر نفسه، ص641.

العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبيه¹. ثم يؤكد على ضرورة مراعاة المدة الزمنية التي تتم فيها عملية المران و الممارسة فهي مسألة تقتضي فترات زمنية مطولة يتم من خلالها محاكاة خواص كلام العرب من الفصاحة والرصانة وهي عملية تتم بطول المران كذلك.

و يؤكد ابن خلدون في حديثه عن ضرورة الممارسة و التكرار للكلام من أجل اكتساب الملكة ما نجده عند بعض علماء اللغة القدماء، فقد بين خالد بن صفوان أن تدريب اللسان على الكلام يعتبر طبيعة وإجادته ترجع إلى القول فيه، فيقول: "فإنما اللسان عض وإذ مرنته مرن وإن أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبه"².

ويرى الجاحظ أن الممارسة هي الأساس في تعلم أي شيء مهما كان، ومن هذه الجوارح اللسان وأن منع هذه الممارسة يؤدي إلى الصعوبة في الكلام وبين كذلك أن الإنسان، إذا ملكا للغة وانقطع عن ممارستها فسيؤدي به الأمر إلى حبسة ويمثل على ذلك بواقعة حدثت معه في حياته.

نستنتج خلال ما سبق نجد أن علماء اللغة القدامى قد ركزوا على أهمية ممارسة الكلام لاكتساب اللغة أو للحفاظ عليها كما نجد من جهة أخرى ابن خلدون يحذر من الاعتماد على الحفظ والصمت، لما له من أثر واضح في تأخر اكتساب ملكة اللسان.

¹المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط3، ج1997، م2، ص532.

²المصدر السابق، ص764.

وترجع أهمية الممارسة والمران عند ابن خلدون في تحصيل عملية حصول الملكة اللسانية فحصول ملكة اللسان رهينة المعاودة كما يقول ابن خلدون في هذا السياق: " والملكات تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"¹.

من خلال القول يتضح لنا أن تكرار الفعل يؤدي إلى حصول ملكة طبيعية أي كان نوعها، فالتكرار والممارسة لها دور مهم في اكتساب الملكة اللسانية كما نجد أن علماء اللغة القدامى قد ركزوا على أهمية ممارسة الكلام لاكتساب اللغة أو للحفاظ عليها. إذ أن الملكة اللسانية تنتج عند الفرد بفعل عمليات متكررة لأفعال الكلام مصدرها السماع المستمر لأبنية الكلام الفصيح وآليات المران المستمر والمنظم على استعمالها، فلا يمكن اكتساب اللغة بالدرس النظري لوحده بل يحتاج المتعلم إلى الممارسة والاحتكاك ومداومة الاستماع والاستخدام حتى تتحول إلى ملكة وعادة يقوم بممارستها الفرد، لأن التمرس يثبت المعلومات في الذهن ويعطيها طعماً وتذوقاً يتحسسها المتمرس، وقد يشفع لهذا الكلام أن نجد بعض الناس ومنهم الخطباء مثلاً يحسنون الكلام من دون إحاطة علمية تامة بأحكام اللغة، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الممارسة والتدريب، فكما اشتد المران والممارسة تم التمكن من اللغة.

ثالثاً: الحفظ والمران

يقول ابن خلدون: " ووجه التعليم لمن ينبغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين

¹ ابن خلدون، مقدمة، ص 232.

أيضا في سائر فنونهم حتى ينتزل لكثرة حفظه لكلامهم المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم " 1

لقد أدرك ابن خلدون بفكره الحدائي أن اللغة صفة إنسانية عرضة للتغيير و التبدل ومن هنا أدرك أهمية حفظ كلام العرب لتحصيل ملكة اللغة العربية وهو الكلام الجاري وعلى أساليبهم ويشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب ف يشعرهم ونثرهم، كما يبدو من خلال حديث ابن خلدون السابق أن الحفظ والمحاكاة لا يكفیان لتحصيل ملكة كلام العرب فالحل في نظره يبدو من خلال حديثه: "وهو التعبير عما في نفس المتكلم بأساليب العرب " 2.

بمعنى هو الاستعمال الفردي الذي يأتي بعد حفظ كلام العرب ففي الحالة الأولى (الحفظ والمحاكاة) فإن المتكلم يمكنه أن يحفظ الأفكار والأسلوب معا في حين أنه في الحالة الثانية (الاستعمال الفردي) يبتكر المعاني ويكون له أسلوب جديد خاص يقول: " ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلامهم و حفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة " 3

تشير هذه الإشارة إلى أن آراء ابن خلدون كانت إيجابية منطقية لتساؤل طالما دار حوله النقاش في الدراسات الحديثة وهو هل يكتسب الطفل لغته عن طريق تقليده والديه أو المجتمع المحيط في كل شيء وهل تتم عملية الكفاية اللغوية من خلال التقليد والمحاكاة فقط؟ فرجعت معظم الدراسات اللغوية الحديثة في الإجابة عن التساؤل السابق الرأي القائل الذي وجدناه عندنا بن خلدون بأن كل

1المصدر السابق، ص863.

2المصدر نفسه، ص640.

3المصدر نفسه، ص638.

طفل مزود بمقدرة فطرية لإتمام عملية الاكتساب اللغوي وهو (الاستعمال الفردي).

فقد ذهب "تشومسكي" Avram Noam Chomsky إلى أن الطفل يولد مزودا بمعرفة دقيقة ومحددة بالأصول النحوية الكلية وباستعداد لاستغلال هذه الأصول في التعرف على ما يسمعه من كلام يتردد من حوله ولاشك أن المعرفة الفطرية بالأصول الكلية، التي تحكم تركيب اللغة الإنسانية هي التي تفسر عملية اكتساب اللغة عند الطفل، أو تعلم الكبار لغة غيرهم في بعض الأحيان¹.

يقول ابن خلدون: "وأهل الأندلس أقرب منهم أهل أفريقيا والمغرب إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلانهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثر
2"

إن تكلم عن أهمية الحفظ في إدراك الملكة لم يكن حديثا مسترسلا قائما على الافتراضات وإنما مثله من الواقع، فكثرة المحفوظ كانت سببا في تحصيل أهل الأندلس لملكة العربية دون غيرهم. ومع إدراك ابن خلدون لأهمية الحفظ في تحصيل الملكة غير أنه يربطها بالفهم والإدراك المسبق لهذا الحفظ ومحدرا في الوقت نفسه من الاقتصار على القرآن الكريم، لعدم المقدرة البشرية على احتذاء أسلوبه فيقول: "فأما أهل أفريقيا والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا تنشأ عنه في الغالب ملكة، لما أن البشر مصرفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه، والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة للسان العربي"³.

¹ جونليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 248.

² ابن خلدون، مقدمة، ص 614.

³ المصدر نفسه، ص 615.

قد يحفظ المرء كثيرا من النصوص الجيدة لكنه يعجز عن توظيفها
توظيفا صحيحا في المحاوره والمناظره ولا في المواقف اللغويه المتنوعه وهنا
تبرز اهمية الحفظ مع الفهم الإدراك في تكوين الملكة اللسانية.

المبحث الثالث: مصادر تحصيل الملكة اللغوية

مفهوم التحصيل اللغوي:

أ- لغة:

عرفه الخليل في معجمه كتاب العين بقوله: "حَصَلَ يَحْصُلُ حُصْلًا، أي بقي وثبت وذهب ما سواه من حساب أو عمل ونحوه، فهو حاصل. والتحصيل: تمييز ما يحصل والاسم والحصيلة. قال لبيد:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ *** وَإِذَا حَصَلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ

الحصائل¹.

ب- اصطلاحا:

يعرف الدكتور محمد معتوق "الحصيلة اللغوية" بأنها: تلك الألفاظ المكتسبة، والمفردات تهيئ لعمليات الربط الذهني، بين هذه الألفاظ ومدلولاتها ومفاهيمها المتجسدة في واقع الحياة وتبعث على تكرار استدعائها واستحضارها من الذاكرة وحضورها في الذهن.

إذن فالحصيلة اللغوية هي مجموعة المعارف والمكتسبات اللغوية التي يتعلمها المتعلم خلال فترة دراسته للمادة اللغوية².

مصادر تحصيل الملكة اللغوية:

أ/ الأسرة:

تعتبر الأسرة المرجع الأول لتنشآت الطفل منذ ولوجه هذا العالم، باعتبارها الخلية الأساسية في بناء المجتمع فهي التي تحدّد اتجاهاته والخلقية والاجتماعية. الأسرة منظمة تربوية لها منهجها الجاد في تنشآت أبنائها وذلك

¹الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003، مج1، ص324.

²أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها ووسائل تنميتها، دار المعارف، الكويت، 1996، ص12.

لأنها مؤسسة تربوية ثقافية اجتماعية تقوم بالعديد من الأدوار التي تقوم بها المؤسسات التربوية بغرض تربية الفرد¹.

تلعب الأسرة دوراً مهماً تمثل في التحدث بانتظام مع الطفل لإكسابه المفردات وجعله يتواصل مع أطفال آخرين وإعطائه فرصاً ليعبر عن أفكاره ومشاعره من خلال الإنصات الجيد له، وغرس حب القراءة فيه وإدماجه في المراكز الثقافية والعلمية لتحفيزه على التعلم أكثر.

ب- المجتمع:

باعتبار الإنسان مخلوقاً اجتماعياً بطبعه فهو جزء عن مجتمعه، لا يتجزأ فاللغة هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين الأفراد والحوار بينهم، وتبادل الأفكار والتبليغ عن الاحتياجات.

اللغة ظاهرة اجتماعية مكتسبة، ويبدو أن أفضل وسيلة لتعلم اللغة هي الطريقة التي يكتسب بها الطفل لغة مجتمعه المستعملة في الحياة اليومية.

فالطفل يكتسب لغته الأولى من محيطه حيث يعتمد على سماع كل ما يتلفظ به الآخرون أمامه ويبدوون في تخزين مفرداتهم السهلة والعبارات المتداولة ويحاول إتقانها عن طريق التقليد والتفاعل مع أقرانه.

وهنا نصل إلى أن اللغة ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، فهي الأساس الذي يبني عليه المجتمع، يعبر بها كل قوم عن أفكارهم وثقافتهم.

ج/ المدرسة:

¹- رمضان جابر محمود، مجالات تربية الطفل، ط1، عالم الكتب، شارع القاهرة-مصر، 2005م، ص23.

يصف جون ديوي المدرسة بأنها: الشيء بين المعلم والطالب، أو بين المعلم والوالدين، لأن أكثر ما يثير اهتمامنا هو التقدم الذي يحرزه الطفل من معارف في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب، ومعلوماته في الجغرافيا والتاريخ وتحسن طباعه وعاداته في التهيؤ والاستعداد للأشياء¹.

وهنا يتحقق دور المدرسة من خلال تعليم الطفل مبادئ القراءة والكتابة وقواعد اللغة، وتمكينه من الاتصال بغيره عن طريق الاستماع والتحدث والقدرة على التعبير عن احتياجاته وأفكاره بشكل سليم، كما تزودهم المدرسة أيضا بالعتاد اللغوي وغرس القيم والمبادئ الأخلاقية بواسطة نصوص القراءة والمطالعة.

د/الجامعة:

تمثل أعلى مستويات البحث والتعليم وآخر عتبة يتدرج فيها الطالب المتعلم في مشوار تحصيله المعرفي عموما، واللغوي خصوصا وهي "امتداد لمراحل علمية سابقة، يخرج منها الباحثون الموهوبون... وعلى اعتبار أن خريجي الجامعات هم الصفوة المختارة... الذين تقع على كواهلهم مسؤولية النهوض بالمستوى الفكري للمجتمعات، والرفعة بمستويات العلم

وضروب المعرفة، ومن ثم تحديد العلوم والإضافات، ونشرها حتى تعم الفائدة"²، وبالتالي فإن الجامعة بهذا المعنى لا بد أن تكون متوفرة على كفاءات تدريسية متمكنة فضلا عن تجهيزها بالوسائل التكوينية اللازمة، وتهيئة المناخ المناسب والصالح لتعليم وتحصيل تكميلي جيد للطلبة المقبلين عليها .

هـ- المكتبة:

¹جون ديون، المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، ط0، دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، 1978، ص.31

²غازي عناية، إعداد البحث العلمي-ليسانس، ماجستير، دكتوراه-، ص.13.

تعدّ المكتبة رافداً علمياً ومرتكزاً أساساً للطالب المتعلّم، إذ تساهم في نماء رصيده المعرفي، ناهيك عمّا يعود به من حصيلة لغوية، إذا تضمّ مختلف الكتب التي تزخر بثروة هائلة من المعلومات في مختلف مجالات والتّخصصات، كالكتب والمصادر الخاصة باللغة والأدب من نحو وصرف وبلاغة، والمراجع الفرعية فضلاً عن المعاجم والدوريات، والمجلّات المختلفة كما تساعده في كيفية الحصول على المادة التي يحتاج إليها من خلال ما توقّره من فهرس سواء تلك الفهارس الخاصة بالبطاقات أو الفهارس الإلكترونية، لذلك لا تخلو المؤسسات التعليمية منها مدرسة كانت أم جامعة، كما نجد المكتبات التابعة لدور الشباب والمراكز الثقافية فضلاً عن المكتبات العامة المحيطة به والمنتشرة في المدن، إلّا من تعذر له ذلك لبعده عنها وتمركزه في المناطق النائية، لقد تمّ رسم سياسة للمكتبات المدرسية قصد تحقيق المساعي المستهدفة من بينها¹:

- خدمة التكامل في المناهج عن طريق إذابة الحواجز التقليدية بين المقررات الدراسية، وإثرائها بمزيد من المعرفة، وتوجيه التلاميذ إلى قراءة الكتب والمراجع والقيام بمشروعات متّصلة بالنشاط التعليمي.
- توفير الكتب والمراجع التي تحتاج إليها المناهج الدراسية.
- غرس عادة القراءة والمطالعة لدى التلاميذ وتدريب المتعلّم على التفكير السليم وفهم المادة المقرّوة.
- تنمية الثروة اللّغوية للمتعلّم.
- ممارسة قواعد البحث العلمي.

تليلى محمد، "المكتبات المدرسية ومعارض الكتب الخاصة بالأطفال" المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية-لغة الطفل والواقع المعاصر-دمشق-سوريا، 2007م

المبحث الرابع: العوامل المؤثرة على الملكة اللسانية

تتأثر الملكة اللغوية، مثل أي سمة بشرية بالأحداث التي تؤثر عليها وقد شرح ابن خلدون في حديثه عن التغيرات المحتملة للملكة اللسانية في عملية اللغوية وحياتها الاجتماعية، وقد تسبب هذا الفساد أو التأثير على العوامل غير اللغوية بأحد أسباب التالية:

1. الاختلاط:

هو عامل من عوامل تطور اللغة الذي يؤثر عليها وعبر عنها الباحثين بـ "تسمم اللغة"¹، وهذا يبدأ بالتسلل الهائل للغزاة من اللغات الأخرى التي تحتاجها اللغة فتقبلها، بل وتحسن باستخدامها في البداية بمزيد من النضارة والشدة والحيوية، مما يشجعها على قبول هذا الغزو بجرعات أكثر فأكثر، فكانت هذه الحادثة من وجهة نظر ابن خلدون سبباً واضحاً لفساد اللغة العربية الفصحى بين العرب إذ يقول: "ثم فسدت هذه لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أن الناشئ من جيل صار يسمع في العبارة عن مقاصد كفيات أخرى غير الكفيات التي كانت للعرب، فيعبرها عن مقصود لكثرة المخالطين للعرب عن غيرهم ويسمع كفيات العرب أيضاً. فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة من الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي"².

¹ينظر: حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، ط2، 1990، ص133.

²عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة، اعتداء ودراسة، أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم أبي الأرقم للطباعة و النشر والتوزيع، د ط، دت، ص633.

ومن خلال كلام ابن خلدون السابق عن فساد ملكة اللغوية يمكننا أن نرى أنها تتعلق فقط باللغة العربية عن اللغات الأخرى بهذا الرأي، مما أعاده إلى اختلاط بالدول الأخرى ككل، وكان هذا الاختلاط نتيجة حتمية بعد ظهور الإسلام و انتشاره بين الأمم ودخول غير العرب إلى الإسلام ، فأدت اتصالاتهم في النهاية على فساد ملكة اللسانية بين العرب حيث يقول : " فلما جاء الإسلام و فارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي الشعر بين من العجم "1

وقد أولى ابن خلدون اهتماما كبيرا لهذه المسألة في مقدمته، لذلك لم يتكلم في موضع واحد منها، ولكن تعددت في مواضع أخرى، فيقول : " وإنما وقعت والعناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم الأعاجم ، حيث استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب ، وصارت ملكة على غير الصورة التي كانت أولاً ، فانقلب لغة أخرى " . 2

يقول ابن خلدون إن اختلاط مع عجم لم يتسبب فقط في رحيل الملكة الصحيحة، بل تسبب أيضا في ظهور ملكة جديدة بسبب اختلاط أكثر من ملكتين ، فيقول : " وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل ، فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة ، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية العجم " . 3

يعتقد ابن خلدون أن اللغة العربية تفاعلت مع اللغة المحلية من خلال انتشارها في البلدان الخاضعة للسيطرة الإسلامية ، ونتيجة لهذا تفاعل والاختلاط ، نشأت الملكة اللغوية واستقامت بشكل ما من اللغة المحلية نتيجة لهذا الاختلاط تم

1 المرجع السابق، ص 624.

2 المرجع نفسه، ص 634.

3 المصدر السابق، ص 637.

تغير بعض أحكام اللغة المنطوقة والإعرابية، وفقد هذا الإعراب بشكل عام ولكن ضلت أهمية الكلمة هي نفسها، إذ يقول ابن خلدون في هذا الصدد: " ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان يعني في الدلالة على أصله وسمي لسانا حضريا في جميع أمصار الإسلام "1. وهو ما يسميه المتحدث اللغة العامية الإقليمية التي أطلق عليها ابن خلدون مصطلحاً ينشأ من اختلاط اللغات اللسان الحضري".

يرجع عدم دقة وصحة الملكة اللغوية عندهم إلى لغتهم غير مكتملة والتي مسها اللحن في جميع كلماتها، وهذا الاختلاط بين قبائل راجع بسبب التجارة أو الهجرة أو الحوار أو أسباب أخرى، كان سبب في فساد ملكتهم. لذلك أرى أن ابن خلدون أكد المشكلة وقال: «وأما من بعد عنهم من ربيعة ولفم وجذام وغسان، وإياد وقضاة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم "2. والسبب في ذلك هو مجاورة ومخالطة العجم، أما حصول على ملكة الصحيحة فيأتي بابتعاد عنهم"3.

وعلى ذلك أرتكز على قول ابن خلدون: " ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ". وبالتالي يرجع فساد الملكة اللغوية إلى اختلاط بالأعاجم.4

إن ظهور الإسلام وانتشاره بين الدول ودخول العرب إلى الإسلام واتصالاتهم فيما بينهم أدى إلى فساد الملكة اللغوية عند البعض.

1المصدر نفسه، ص638.

2عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار كتب العلمية ببيرون - لبنان، د، ط، د، ت جزء أول، ص477.

3المرجع نفسه، ص477.

4المرجع نفسه، ص477.

وبناء على ما سبق أستخلص أن الاختلاط ودرجة تأثير في اللغة العربية إما أن يكون على أصله لسانا عربيا فصيحًا، ملكته سليمة وتامة أو أن يكون لسانا فاسدًا متأثر بالأعاجم حيث تكون ملكة ناقصة وفسادة.

2. العجمة:

الأعاجم صنفان :صنف أجنبي تماما عن العرب فيما نسبه لا يعرف العربية فهو لا يفصح وصنف آخر مولد ،وهو أيضا في عداد العجم ،عند القدماء وإن أفصح، وقد كان العلماء اللغة الأقومين رأي في كلتا الفئتين السابقتين، حيث ربطوا بين العنصر واللغة، ربطا قويا فاللغة للعربي الصريح النسب ،وهي لغة أصلية موثوق بها ،أما الأعجمي أو المولد فلغته مصنوعة مخلطة غير أصل للثقاة¹.

وقد كان لهذه القضية أهمية كبيرة لابن خلدون في مقدمته كمعجم عربي، وهي الملكة اللغوية وعوامل فسادها ،حيث إن الأعاجم متحدثين للغة العربية كان لديهم لغة مختلفة وأجبروا على التحدث بالعربية ومساعدة الناس على التواصل معهم من العرب وأيضا في هذه مرحلة متأخرة لم يكن لديهم الملكة اللغوية اللازمة ،فقد ليتحدث عنهم وبعدها عنها فيقول: "أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطائرين عليه المضطرين إلى لنطق به لمخالطة أهله ،كالفرس والروم الترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب ،فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قرر أمر الأول قصارهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان"². وإذا لجأ هؤلاء داخلون في اللغة العربية إلى استخدام قوانين اللغة (موجودة في كتب) للحصول على مثل هذه الملكة بل يحصلون على أحكامها فقط. فيقول: "وهذه الملكة قد ذهب لأهل الأمصار، وبعدها عنها كما تقدم وإنما لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هذه الملكة اللسان المطلوبة

¹المرجع السابق، ص164.

²المرجع نفسه، ص164.

ومن عرف أحكام تلك الملكة من القوانين المسيطرة في الكتب ،فليس من تحصيل الملكة في شيء ،إنما حصل أحكامها كما عرفت وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار لكلام العرب "1.

أما سبب الآخر لعدم وجود ملكة لهؤلاء الأعاجم هو أن النفس البشرية لا يمكن أن تستوعب إلا ملكة واحدة وإن حصل أكثر من ملكة فتكون ناقصة وغير تامة، وقد مثل ابن خلدون في ذلك قصائد العديد من الفقهاء والنحاة الذين سبقت إليهم ملكات غير الشعر وأن جديد في هذه الملكات يبقى أقل من المستوى مطلوب كما في حالة جميع الملكات الصناعية، وكان يعتبر مثله في اللغات في ملكات اللسان وهذه هي مكانة الصناعة فيقول: "وقد قدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الحط الصناعة ملكتها في اليد فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرًا في اللغة العربية لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى "2.

ومن خلال آراء ابن خلدون سابقة نستنتج أن إنسان يستطيع أن يتعلم لغة ثانية إلا أن إتقانه للملكة ثانية يبقى ناقصا بعض شيء يقول ابن خلدون: "إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تتحكم حين انتقل منها إلى الغربية كأصاغر أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل أن تتحكم عجمهم. فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم "3 .

لقد تناول ابن خلدون قضية مهمة جدًا هي مسألة شخص يتعلم لغة أخرى والتي عبر عنها مؤخرًا من حيث "ثنائية اللغة" هنا اختار الأعاجم الذين أكملوا ملكات لغتهم الخاصة في البيئة التي عاشوا فيها مسبقا وعاشوا لاحقًا في بيئة جديدة أخرى واستخدموا لغة مختلفة عن لغتهم الأم، يعتقد ابن خلدون أن

1- المرجع نفسه،ص641.

2المرجع السابق، ص624.

3المرجع نفسه، ص624.

اللغة المكتسبة حيث لا تزال دون مستوى المطلوب مطلوب بسبب أن حقيقة الروح البشرية لا تناسب أكثر من ملكة لغوية كاملة مثل الملكات الأخرى واكتساب غيرها يكون غير مكتمل مشوها.

ومن وسائل التي يثير ابن خلدون في هذا القسم أن تعلم لغة مختلفة عن اللغة الأم التي تم تعلمها في مرحلة عمرية معينة، ومسؤول عن إضعاف تحقيق العلوم، فيقول: "والأعجمي المتعلم للعلم في ملة الإسلامية يأخذ من علم بغير لسانه الذي سبق إليه ومن غير خطة الذي يعرف ملكته في هذا يكون له ذلك حجابا كما قلناه".¹

مما سبق يمكن ملاحظة أن سبب عدم وجود علوم لغوية أخرى، كما حدده ابن خلدون هو أن ملكة اللغات تتقن في مرحلة عمرية معينة من هذا الشخص وإتمام هذه الملكة في النفس عقبة أمام امتلاك ملكة لغة أخرى، مما يؤدي إلى إضعاف إمكانية إتقان علوم هذه اللغة الجديدة، فالعجمة تعد أحد أسباب عدم كفاية إنجاز هذه العلوم المرتبطة بالملكة اللسانية.

والعجمة عند ابن خلدون ليست للنسب كما فعل اللغويون القدماء، لقد قصرُوا ملكة اللسان العربي على الإقحاح نشأة ونسب وإنما مقصود عنه عجمة اللسان، حيث يقول: "فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفرسي من بعده والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي، فاكتسبوه بالمرجى ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفقا لما يعدهم"²

2. الملك والدين:

الملك والدين هما أحد عوامل التي تؤثر على حياة البلدان والشعوب حيث أن اللغة تعتبر المسار الذي يؤدي إلى تحقيق هذين العاملين لأن سلامة اللغة

¹المرجع نفسه، ص619.

²المرجع السابق، ص620.

تؤدي منها إلى سلامة الملك والدين على سبيل مثال يعتمد حاكم قبيلة معينة على اللغة لإصدار أحكامه ونقل هدفه إلى شعبه، أما بالنسبة للدين فإن اللغة هي أهم أداة لنقل الدين والدعوة إليه مثال ذلك الدين الإسلامي حيث وجدت بلسان عربي أي بلغة القرآن الكريم فهي تعتبر لغة الدين الإسلامي بفضلها نشر الإسلام وتمت الفتوحات الإسلامية ، وعليه فإن سلامة اللغة العربية تؤدي إلى ضرورة إلى سلامة الدين الإسلامي أي القرآن الكريم والحديث الشريف واللسان العربي ووحدة الدولة العربية¹.

وعليه استدل بقول ابن خلدون: " فلما هجر الدين اللغات الأعجمية وكل لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيًا ، هجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب"²، أي أن الدين الإسلامي يساهم بشكل قوي في انتشار اللغة العربية على نطاق واسع فقد أصبح تمكن من إلزاميا وكما ذكرنا سابقا الحفاظ على السنة الشريفة والقرآن الكريم من اللحن ولا ننسى وحدة الدولة لأن لغة واحدة، تحافظ على دولة واحدة.

وعليه نستنتج في الأخير أن كلا من الملك والدين مرتبطا ارتباطًا وثيقًا بالملكة اللغوية وأنه إذا ضعف تأثيرهم في الملكة اللسانية، فسوف يفسد اللسان العربي وهذا دليل قاطع على أنهما من أبرز العوامل التي تؤثر على الملكة اللغوية.

¹ينظر: فتحة حداد، الآراء اللغوية وتعليمية عند ابن خلدون، دراسة تحليلية نقدية منشورات مخبر الممارسات اللغوية الجزائر -تيزي وزو، 2011م، ص 167-168
²المرجع السابق، ص 167-168

الخاتمة:

كان العربي في القديم يتكلم لغته العربية بالسليقة، من غير تلقين ولا تعليم يؤديها بصورة آلية دون تكلف ولا إجهاد، والسبيل إلى ذلك المران والتعود والتكرار، وهو ما يكسبه الملكة فكما لاحظنا في هذه الدراسة فالملكة اللغوية تنمي بالتكرار أخذاً وكما أشار ابن خلدون إلى أنّ الإنسان مجبول على استخدام لغته للتواصل منذ نعومة أظافره، ومن الخطأ ربط أمر الملكة اللغوية بالفطرة فقط أو الطبع فمن يولد في بيئة عربية مثلاً يكتسب الملكة اللغوية العربية من محيطه.

وفي بحثنا هذا والموسوم بالملكة اللغوية عند العرب والغرب توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن حصرها كما يأتي:

- اللغة خاصية إنسانية تميز الإنسان عن سائر المخلوقات وهي أول سبل التواصل فمهما تعددت اللغات تبقى غاياتها واحدة وهي عبارات وإشارات ومعاني تعني بالتواصل بين أفراد المجتمع محققة بذلك الغرض من الوجود الإنساني.

- الملكة اللغوية فقد تناولها علماء الثرات العربي باعتبارها حيث عرفها الجرجاني بكونها ارتباط المعاني بجميل المفردات، فلا يكتسب أحداً ملكة اللغة حتى تفهم عباراتها ومعانيها ، أمّا الفارابي فقد ربطها بكونها فطرة في الإنسان تولد معه فاستعداده لاكتساب اللغة كنزعه للحركة وجدت فيه خالصة من الطبيعة وأما العلماء العرب من المحدثين فقد تناولها كل من حاج صالح وتمام حسان باعتبارها حيث أسس حاج صالح مفهوم الملكة اللغوية من المنظور اللساني المحدث كما أسس لمفهوم اكتساب اللغة من خلال تعريفه للغة (اللسان) على أساس أنه نظام محدد من الأدلة المختلفة المتقابلة، بمعنى أن مفهوم الملكة اللغوية بكاملها

وجملتها هي مهارة التصرف في بني اللغة بما تقتضيه حال الحديث. كما نرى أيضا هذا التوجه الذي تبناه تمام حسان يشبه في نهجه التوجه الذي دعت إليه نظرية الجرجاني التي تدعو إلى ضرورة إِبْلاء الاهتمام للسياق اللغوي من أجل فهم القصد من وراء الرسالة.

- ولأن مذكرتنا موسومة بالملكة اللغوية عند العلماء العرب والغرب فقد تطرق علماء الغرب بدورهم إلى الملكة اللغوية وقد استنتج كل دي سوسير أن مفهوم الملكة اللغوية مرتبط بالجماعة بدل الفرد من خلال تقريره أن اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان أي أن الملكة لا تظهر إلا على مستوى الجماعة، كما يرى تشومسكي أن أساس تكوين الملكة اللغوية هي القواعد الفطرية التي تتفاعل مع البيئة اللغوية للمتكلم و تكون معرفته اللغوية بها أي أن عملية الاكتساب هي حالة لاحقة بعد الحالة الأساسية وهي الكفاية الفطرية.

- إشارة ابن خلدون إلى أن اكتساب الملكة اللغوية يأتي أيضا من خلال الحفظ والمران، في بيئة معينة اعتمادا على استعدادات فطرية، كما يؤكد أن فساد الملكة اللغوية يؤدي إلى فساد الواقع اللغوي، والذي تعود أسبابه إلى المخالطة باعتياد السمع.

- إن الإنسان في كينونته الجوهري موجود متكلم، فتركيبه الطبيعي مقتض للبعد اللغوي بالضرورة.

المراجع

القرآن الكريم:

- سورة الإسراء، مصحف برواية ورش مطبوع من الدار الشامية للمعارف طبعة 1982.
- سورة الإسراء، مصحف برواية ورش مطبوع من الدار الشامية للمعارف طبعة 1982.
- سورة النحل، مصحف برواية ورش مطبوع من الدار الشامية للمعارف طبعة 1982.
- سورة النساء، مصحف برواية ورش مطبوع من الدار الشامية للمعارف طبعة 1982.

المراجع

- إبراهيم أنيس – عبد الحلیم منتصر – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية للطباعة والنشر، ط2004، 4م.
- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات. المعجم الوسيط، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، 1972، مادة لغا.
- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط1421، 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.
- ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1971م، ج01.
- ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط02 اللجنة البيان العربي، بيروت-لبنان، 1968م.
- ابن فارس ن مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب لغا، ط3، 1414، ج1
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1997م، مادة (م ل ك)، مج01.
- أبو نصر محمد الفارابي، الحروف تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق ن بيروت – لبنان، 1970م.

- أحمد محمد معنوق، الحصييلة اللغوية، أهميتها، مصادر ها ووسائل تنميتها
- الخولي، محمد علي، أساليب تدريس اللغة، ط3، الرياض، م1998،
- أنيس، ابراهيم، في اللهجات العربية. ط٣، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1965.
- أنيس، ابراهيم، في اللهجات العربية. ط٣، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1965.
- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، دار البيضاء، 1980م،
- جون ديون، المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، ط0، دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، 1978.
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ط1985، 1م.
- الحاج الصالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانية، العدد الرابع،
- الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، القاهرة، 1953، ج1.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مادة (م ل ك)، ج5.
- رمضان جابر محمود، مجالات تربية الطفل، ط1، عالم الكتب، شارع القاهرة-مصر، 2005م
- رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، دار زهراء الشرق للنشر، القاهرة، مسرط 2000، 2م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، النوع الثاني والعشرون، معرفة خصائص اللغة مطبعة السعادة، مصر، 1323، ط1.
- عبد الإله نبهان، ابن يعيش النحوي – دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.
- عبد القادر المهيري، ومحمد الشاوش وآخرون، أهم المدارس اللسانية، نقلا عن دي سوسير، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986م،
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، ط02، دار المعارف، بيروت -لبنان، 1978م.
- عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، الرباط، دار الأمان، 1998
- عبد المجيد، عبد العزيز، اللغة العربية-أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، مصر، 1998م

- عكاشة، محمود، علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية، القاهرة، دار النشر للجامعات، 2006، ط1.
- غنيم، كارم السيد، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، القاهرة، (د.ط)،
- فتيحة حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، دراسة تحليلية نقدية، 2011
- فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1918م، ص:41.
- القتوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، أبجد العلوم، الناشر دار ابن حزم، ط1، 1423هـ- م2002، باب اللام
- الكفوي، أبو البقاء بن موسى الحسني، الكليات، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998
- ليلي محمد، "المكتبات المدرسية ومعارض الكتب الخاصة بالأطفال" المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية لغة الطفل والواقع المعاصر- دمشق-سوريا، 2007م.
- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط3، ج1997، م2
- محمد اسماعيل ظافر، ويوسف الحمادي، التدريس في اللغة العربية، الرياض، دار المريخ للنشر، م1984
- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1993م
- مصطفى زكي التوني، المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت الحولية العاشرة الرسالة:64، 1988،
- معروف، نايف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، 1418هـ-1998، ط5،
- معروف، نايف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، 1418هـ-1998، ط5،
- الملكة اللغوية؛ مقارنة لسانية بين تشومسكي وأعلام الفكر اللغوي العربي القديم، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد:11 عدد:2 السنة2022م
- ميشال زكريا، قضايا السنوية تطبيقية، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، ط1(د ت)

• يعقوب، اميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ط1،

الندوات والمؤتمرات:

• عمّار، أحمد، جمل، محمد، العربية الفصحى بين برنامج اللغة العربية ووسائل الاتصال الجماهيري، ندوة العربية الفصحى ووسائل الاتصال الجماهيري.

المخلص:

مما لا شك فيه أن علاقة الإنسان بلغته ذات طبيعة خاصة، فاللغة من أول الملكات التي يكتسبها الإنسان من محيطه، وبما أن اللغة هي بمثابة الوجود كما وصفها مارتن هايدغر في عبارته "إن اللغة منزل الوجود" فلا بد من تعلمها وفهمها حتى نتواصل مع بعضنا ونحقق الوجود الإنساني.

السعي في تحصيل المهارات اللغوية، والملكة اللغوية من أهم الظواهر اللغوية وأكثرها تداولاً ودراسة لدى العلماء قديماً وحديثاً، وإذ تعد اللغة كينونة الوجود فهي خاصة بالإنسان كرمه الله سبحانه وتعالى بها، ولأن بحثنا موسوم بالملكة اللغوية عند العرب والغرب فقد حاولنا شرح هذه الخاصية الإنسانية وذلك من خلال التطرق إلى مفهوم اللغة والملكة اللغوية وطبيعية الملكة اللغوية عند القدامى والمحدثين مع الإشارة إلى سبل تحصيلها وطرق اكتسابها والعوامل المؤثرة فيها. ومن أجل ذلك وقفنا عند بعض العلماء القدامى والمحدثين من العرب والغرب فإذا كان ابن خلدون يرى أن اكتساب الملكة اللغوية يأتي من خلال المران والحفظ في بيئة معينة اعتماداً على استعدادات فطرية فإن تشومسكي يرى أن أساس تكوين الملكة اللغوية هي القواعد الفطرية التي تتفاعل مع بيئة اللغوية للمتكلم.

الكلمة المفتاحية: اللغة - الملكة - الملكة اللغوية - ابن خلدون.

Résumé

Il ne fait aucun doute que le lien qui unit l'humanité à sa langue est particulier. La langue est l'une des premières compétences acquises par les humains à partir de leur environnement, et puisque la langue est l'existence, comme le décrit Martin Heidegger dans sa phrase "La langue est la maison de l'existence", nous devons l'apprendre et la comprendre afin de pouvoir communiquer entre nous et réaliser l'existence humaine. Nous devons l'apprendre et la comprendre afin de pouvoir communiquer les uns avec les autres et réaliser l'existence humaine, et nous efforcer d'acquérir des compétences linguistiques. La faculté de langue est l'un des phénomènes les plus importants et les plus courants, et un sujet d'études multiples de la part de chercheurs anciens et modernes. Comme elle est l'objet de l'existence, elle est spécifique à l'être humain, et Dieu l'a honoré, en nageant, parce que notre recherche est caractérisée par la linguistique des Arabes et de l'Occident, nous avons essayé d'expliquer cette caractéristique humaine en abordant le concept de langue et de faculté linguistique et le conditionnement linguistique naturel des Arabes anciens et modernes et des locuteurs, en référence à leurs méthodes de collecte, leurs méthodes d'acquisition et les facteurs qui les

influencent. C'est pourquoi nous nous sommes entretenus avec des érudits anciens et des locuteurs arabes et occidentaux.

Tags : linguistique, la maitrise de langage, Ibn Khaldoun

Undoubtedly, the bond of mankind with their language is a kind of special. The language is one of the first skills acquired by humans from their surroundings, and since the language is the existence as described by Martin Heidegger in his phrase "The language is the house of existence". We must learn and understand it so that we can communicate with each other and achieve human existence and endeavor to acquire language skills, and the Language faculty is one of the most important and circulating phenomena and a subject of multiple studies of both scholars old and modern. As it is the object of existence, it is specific to the human being, and God honored him, swimming, because our research is characterized by the linguistics of Arabs and the West, we have tried to explain this human characteristic by addressing the concept of language and linguistic faculty and the natural linguistic conditioning of ancient and modern Arabs and speakers, with reference to their methods of collection, methods of acquisition and factors affecting them. For that reason, we stood with some ancient scholars and Arabic and Western speakers.

Tags: Language faculty; linguistic; Fluency; Ibn Khaldoun.

الفهرس:

Table des matières

.....	الاهداء:
ج، أ، ب،	المقدمة:
1.....	الفصل الأول: اللغة خاصة إنسانية
6-1.....	المبحث الأول: مفهوم اللغة (لغة واصطلاحا)
9-7.....	المبحث الثاني: مفهوم اللغة العربية
15-10.....	المبحث الثالث: نظريات نشأة اللغة العربية
11.....	أ- نظرية التوقيف:
12.....	ب - نظرية المحاكاة:
13.....	ج- نظرية المواضيع والاصطلاحات:
14-13.....	د - نظرية التنفيس عن النفس:
14.....	ه - نظرية الاستعداد الفطري:
15.....	و - نظرية الملاحظة:
15-14.....	ز - نظرية التطور اللغوي:
16.....	المبحث الرابع: مراحل اكتساب اللغة وطرائق تحصيلها
23-16.....	مفهوم الاكتساب:
30-24.....	آليات اكتساب اللغة:
31.....	الفصل الثاني : مفهوم الملكة اللغوية بين العلماء العرب والغرب
32.....	تمهيد:
33.....	المبحث الأول: مفهوم الملكة
34-33.....	المفهوم اللغوي للملكة:
40-34.....	المفهوم الاصطلاحي للملكة:
41.....	المبحث الثاني: مفهوم الملكة اللغوية عند علماء العرب القدامى.
42-41.....	1. عند سيبويه:

2. عند ابن خلدون: 45-42
3. عند ابن جنّي: 46-45
- المبحث الثالث: مفهوم الملكة اللغوية عند العلماء العرب
المحدثين 47
1. عند عبد الرحمن الحاج صالح: 49-47
2. عبد القادر الفاسي الفهري: 50
3. عند تمام حسّان: 51-50
- المبحث الرابع: الملكة اللغوية عند علماء الغرب المحدثين 52
1. عند دي سوسير: 53-52
2. عند تشومسكي: 59-53
- الفصل الثالث: الملكة اللسانية وكيفية تحصيلها
المبحث الأول: اكتساب الملكة اللسانية 60
- عند ابن خلدون: 62-60
- عند السلوكيين: 65-62
- عند بلومفيلد: 67-66
- المبحث الثاني: طرق اكتساب الملكة اللسانية 68
- أولا: السماع 71-68
- ثانيا: الممارسة والتكرار 73-71
- ثالثا: الحفظ والمران 76-37
- المبحث الثالث: مصادر تحصيل الملكة اللغوية: 77
- مفهوم التحصيل اللغوي: 77
- مصادر تحصيل الملكة اللغوية: 80-77
- المبحث الرابع: العوامل المؤثرة الملكة اللسانية 81
1. الاختلاط: 84-81
2. العجمة: 86-84
3. الملك والدين: 87-86

90-88.....	الخاتمة:
96-91.....	المراجع
97.....	الملخص:
99-98.....	Résumé
102-100.....	الفهرس: